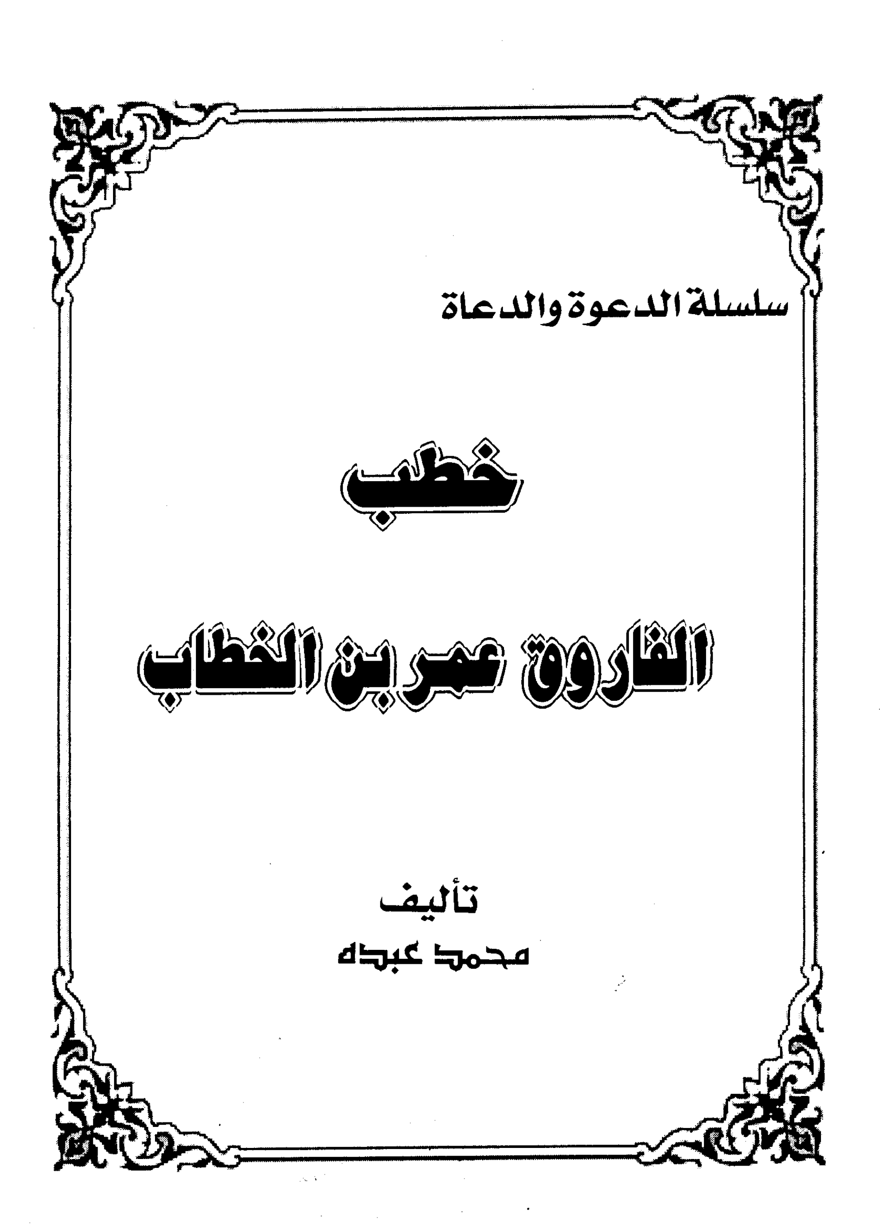


سلسلة الدعوة والدعاة

خطب

الفاروق عمر بن الخطاب

تأليف

محمد عبده

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

المقدمـــــة

إن الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، إن الحمد لله الذى أنعم علينا بالإسلام، إن الحمد لله الذى أرسل فينا شفيعاً للأنام، إن الحمد لله الناصر لعبده، المعز لمن والاه، إن الحمد لله القائل فى كتابه ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١)

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، محمد ﷺ، سيد الخلق وشفيع الأمة، كشف الله به الغمة، ونصره على من عاداه، فصلى اللّهم وسلم عليه وعلى صحابته الغرِّ الميامين إلى يوم الدين ثم.

أما بعد:

فلقد أتممنا بعون المعبود خطب الصديق أبى بكر صاحب الفضل والجود، وها نحن ذا نشرع فى كتابه خطب الفاروق عمر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه غنى عن التعريف، لذا أرى أن الداعية الحق ينبغى أن يكون ملماً تمام الإلمام بسيرة هذا الصحابى الهمام الذى فتح الله به بلاد الفرس وبقية بلاد الشام، هذا الصحابى الذى هابه العرب والعجم كما هابه الإنس والجان والشيطان.

وسنرى بأمر المولى عزَّ وجلَّ فى خطبه أكبر دليل على استحقاقه كل ما قيل فيه ومما قاله الإنس فيه، قالت عاتكة ابنة زيد. (٢)

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٢١٤

فـجـعنى فـيـروز لادرَّ دَرُّه ... بـأبيض تـالٍ لـلكتـاب مُنيبِ
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدا (٣) ... أخى ثقـة فى النائبـات مُـجـيبِ
مـتى مـا يَقُل لا يُكذبِ القـول فـعله ... سـريع إلى الخيـرات غيـرِ قَطوبِ

وقال أيضا:

عـين جـودى بعـبـرة ونحـيب ... لا تَمَلِّى على الإمـام النجـيب
فـجـعـتنى المنون بالفـارس المعـ ... ـلم يوم الهـيـاج والتلبـيب (٤)
عِصمـة الناس والمُعـين على الدهـ ... ـر وغـيثِ المنتـاب والمحـروب
قل لأهل السـراء والبـؤس: مـوتوا ... قـد سـقـتـه المنون كـأس شَعُـوبِ

ولا تتعجبوا حينما أقول لكم: إن الجن قد بكى أيضاً لموت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أخرج عن سليمان بن يسار أن الجن ناحت على عمر: وأخرج الحاتم عن مالك بن دينار قال: سُمع صوت بجبل تبالة حين قتل عمر رضي الله عنه (٥)

لِيَبْكِ على الإسلام من كان باكياً ... فقد أوشكوا صرعى وما قدم العهد
وأدبرت الدنيـا وأدبر خـيـرهـا ... وقـد ملهـا من كـان يوقن بالوعـد

نعم هذا ما قاله الجن، ولقد بكى الجن على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وأرضاه.

---

(٣) العدا: الأعداء وكتبت كذلك للضرورة الشعرية

(٤) التلبيب: الأخذ بالصدر والنحر، كناية عن اشتداد المعركة

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٥٢

وقالت أمرأة تبكيه (٦)

سـيـبكيك نسـاء الحى ... يبكين شَـجـيَّـاتِ
ويَخـمـشن وجـوهاً كـالد ... نانيـر نَقـيَّـاتِ
ويلبـسن ثيـاب الحـز ... ن بعـد القـصـيَّـبـاتِ

فرحمة الله عليك يا فاروق الأمة، يا من أعددت، لهذه الأمة ذخيرة، تستعيد بها، عند الدعوة إلى الله، عزَّ وجلَّ، لذا فهيا بنا جميعا، نمضى لنرى، هذه الذخيرة، وهذه الخطب الصادرة من قلب يعمر بالإيمان قلب الفاروق عمر.

المؤلف
محمد عبده
المنصورة - عزبة عقل شارع أبو القاسم
ت: ٠١٠٥١٣٠٠٣٩

(٦) تاريخ الطبرى: ٥/٢١٤

التمهيد

إن الحمد لله الذى أنعم علينا بنعمة الإسلام وأرسل إلينا محمدًا خاتم المرسلين وسيد الأنام.

أما بعد:

فقد تعودنا فى كل كتاب أن نضع تمهيداً لهذا الكتاب يرشدنا عمّا بداخله من أفكار وفى هذا الكتاب سنتحدث إن شاء الله عن خطب الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ.(أول من سمى أمير المؤمنين... وأول من كتب التاريخ من الهجرة... وأول من اتخذ بيت المال... وأول من سن قيام شهر رمضان... وأول من عس بالليل... وأول من عاقب على الهجاء... وأول من ضرب فى الخمر ثمانين... وأول من حرم المُتعة... وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات... وأول من فتح الفتوح ومَسَحَ السواد... وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر أيلة إلى المدينة... وأول من احتبس صدقةً فى الإسلام... وأول من أعال الفرائض... وأول من أخذ زكاة الخيل... وأول من قال: أطال الله بقاءك...؛ وأول من قال: أيدك الله؛ فقاله لعلى) (١)

فرحمة الله عليك يا أمير المؤمنين، وحتى لا نطيل فإننا سوف نقسم الكتاب بأمر المولى عزَّ وجلَّ إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: سنتحدث فيه إن شاء الله عن خطب المحن وفيه نرى جيداً الكلمات التى تخرج من الداعية فى الظروف الصعبة.

الفصل الثانى: الخطب المألوفة لدى جميع الخطب وهى «خطب المواعظ»

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٤٤

الفصل الثالث: خطب الخاتمة والمقصود بها خاتمة حياة الفاروق، وما قاله حينئذٍ.

الفصل الرابع: زهرة لأجمل وأعظم كلمات الفاروق رغم أن كل كلماته عظيمة، ولكنها كانت أقوال مختارة، وبهذا الفصل سنختم الكتاب إن شاء الله فَهَيَّا بنا سوياً لننعم بأقوال وخطب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عسى الله أن ينفعنا جميعا بكل ما نعلم ونعمل اللّهم أمين

المؤلف

محمد عبده

الفصل الأول
خطب المحن

الفصل الأول
خطب المحن

كما سبق وأن بدأنا كتاب الخطب للصديق أبى بكر بخطب المحن، فإنى أرى أن أبدأ كتابى هذا بخطب المحن، لأن المحن، هى التى تحدد وترسم لنا شخصية هذا الداعية، وهى المواقف الصعبة التى يجب أن يعرف الداعية كيفية التعامل معها...؟!

ولنسأل أنفسنا سؤالاً، إن كنا لا نعرف، كيفية التعامل والتحدث فى أوقات المحن، فكيف سنتصرف معها إن صادفتنا؟

هذا السؤال هو الذى يجعلنى أبدأ بخطب المحن، حتى يتعلم الداعية كيف يتصرف عند مواجهة مثل هذه المواقف.

وحتى لا أطيل عليكم هيا بنا لنبدأ سويا، ونقرأ ملياً خطب المحن للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

خطبته عند توليته الخلافة

جاء عدد من الخطب، فى العديد من الكتب، وكل كتاب كتب خطبة وقال: إن عمر رضي الله عنه قالها عند توليه، وسوف نذكر إن شاء الله ما ورد فى العديد من الكتب، ولكن قبل أن نذكر بودى لو سمعنا رأى عمر فى مسألة الخلافة.

رأى عمر فى مسألة الخلافة:

(إنه لما اشتد بأبى بكر الصديق رضي الله عنه الوجع، أرسل إلى على وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار، فقال: قد حضر ما ترون، ولابد من قائم بأمركم، فإن شئتم استخَرتُم لأنفُسكم، وإن شئتم استخرتُ لكم.

قالوا: بل اختر لنا.

فأمر عثمان فكتب عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقال عمر: «لا أطيق القيام بأمور الناس» (١)

فقال أبو بكر: هاتوا سيفى. وتهدده فانقاد عمر)

من هذه القصة رأينا جميعا رأى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى مسألة الخلافة وكيف أنها أمر عظيم لن يستطع القيام به. لذا كانت خطبه فى مسألة الخلافة.

عند الإمام السيوطى:

أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

(١) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا: ٩/٢٦٤ ـ ٢٦٥

نص

(أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بى، وخلفت فيكم بعد صاحبى، فمن كان بحضرتنا باشرنا بأنفسنا، ومن غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة، ومن يحسن نزده حسناً ومن يسئ نعاقبه، ويغفر الله لنا ولكم) (٢)

عند الإمام الطبرى:

عن عروة بن الزبير أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الناس بالله عزَّ وجلَّ، واليوم الآخر، ثم قال:

نص

(يا أيها الناس، إنى قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمر مُهماً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها، ووضعها أين أضعها، وبالسير فيكم كيف أسير؛

فربى المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عزَّ وجلَّ برحمته وعونه وتأييده) (٣)

ثم خطب فقال:

نص

إن الله عزَّ وجلَّ قد ولانى أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم، وإنى أسأل الله أن يعيننى عليه، وأن يحرسنى عنده، كما حرسنى عند غيره،

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٥٠

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٢٠٩/٥

وأن يلهمنى العدل فى قسمكم كالذى أمر به، وإنى امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عزَّ وجلَّ، ولن يغير الذى وليتُ من خلافتكم من خُلُقى شيئاً إن شاء الله إنما العظمة لله عزَّ وجلَّ، وليس للعباد منها شىء، فلا يقولن أحد منكم: إن عمر تغير منذ ولى.

أعقِلُ الحق من نفسى وأتقدم، وأبين لكم أمرى، فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة، أو عتب علينا فى خلق، فليؤذنِّى، فإنما أنا رجل منكم، فعليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم، وحرماتكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلى، فإنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة، وأنا حبيب إلى صلاحكم، عزيز على عتبكم. وأنتم أناس عامتكم حضر فى بلاد الله، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه.

وإن الله عزَّ وجلَّ قد وعدكم كرامة كثيرة، وأنا مسؤول عن أمانتى وما أنا فيه، ومطلع على ما بحضرتى بنفسى إن شاء الله.

لا أكِلُه إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء، وأهل النصح منكم للعامة ولست أجعل إلى أحد سواهم إن شاء الله) (٤)

ما قاله ابن سعد:

عن حميد بن هلال قال: أخبرنا من شهد وفاة أبى بكر الصديق رضي الله عنه فلما فرغ عمر رضي الله عنه من دفنه نفض يده من تراب قبره ثم قام خطيباً مكانه فقال:

(٤) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٢٠٩ ـ ٢١٠

نص

(إن الله ابتلاكم بى وابتلانى بكم وأبقانى فيكم بعد صاحبى فوالله لا يحضرنى شىء من أمركم فيليه أحد دونى ولا يتغيب عنى فآلو (٥) فيه عن الجزء والأمانة!

ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلنَّ بهم) (٦)

ما قاله ابن عبد ربه:

خطب عمر بن الخطاب إذ وَلِىَ الخلافة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

نص

(يا أيها الناس، إنى دَاع فأمنوا: «اللَّهم إنى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهكَ والدار الآخرة، وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدَّعَارة والنفاق من غير ظلم من الهم ولا اعتداء عليهم، اللهم إنى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصداً من غير سَرَفٍ ولا تبذير ولا رياء ولا سُمعة، واجعلنى ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة، اللَّهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللَّهم إنى كثير الغفلة فالهمنى ذكر على كل حال، وذكر الموت فى كل حين.

اللَّهم إنى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك. اللَّهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى، وذكر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقنى الخشوع فيما

(٥) آلو: اقصر

(٦) الطبقات لابن سعد: ٣/٢٢٥

يرضيك عنى، والمحاسبة لنفسى وصلاح النيات والحذر من الشبهات.

اللّهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه، والنظر فى عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت إنك على كل شىء قدير) (٧)

ما قاله الهندى:

عن سعيد بن الحسيب قال: لما ولى عمر بن الخطاب الخلافة خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ، فَحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال:

نص

(يا أيها الناس إنى علمت أنكم كنتم تُؤْنسون منى شِدَّة وغِلظة وذلك أنى كنت مع رسول الله ﷺ، وكنت عبده وخادمه، وكان كما قال الله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٨).

فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يغمدنى أو ينهانى عن أمر فأكف، وإلا أقدمت على الناس لمكان لبيته، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عنى راضٍ والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعَدُ، ثم قمت ذلك المقام مع أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ بعده، وكان قد علمتم فى كرمه ودعته ولينه، فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدتى بلينه إلا أن يتقدم فأكف، وإلا أقدمت، فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله وهو عنى راض، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد، ثم صار أمركم إلى اليوم، وأنا أعلم، فسيقول قائل: كان يشتد علينا والأمر إلى غيره فكيف به إذ صار إليه؟!.

(٧) العقد الفريد: ٤/٦٥

(٨) التوبة الآية: ١٢٨

واعلموا أنكم لا تسألون عنى أحداً، فقد عرفتمونى، وجربتمونى وعرفتم من سُنَّة نبيكم ما عرفت وما أصبحت نادماً على شىء أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ إلا وقد سألته.

فاعلموا أن شدتى التى كنتم ترون ازدادت أضعافاً إذ صار الأمر إلىَّ على الظالم، والمعتدى، والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم وإنى بعد شدتى تلك واضع خدى بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم، وإنى لا آبى إن كان بينى وبين أحد منكم شيئا من احكامكم أن أمشى معه إلى من أحببتم منكم، فلينظر فيما بينى وبينه أحد منكم.

فاتقوا الله عباد الله، وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم) (٩)

هذا ما جاء فى شأن خطبته فى مسألة الإمارة، والإمارة عنده محنة، ولننتقل سويا إلى محن أخرى وهى.

(٩) كنز العمال: ٥/٦٨٠ ـ ٦٨٢

خطبته في شأن أهل السواد

بعث ابن مالك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كتاباً فى شأن أهل السواد وما حدث منهم، فمنهم من رضى بالعهد فأتِم له ما كان بين المسلمين وبينهم، ومنهم من لحق بالمدائن، ومنهم من ادعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل او استسلم. وطُلِبَ الرأى فى شأنهم جميعا.

فقام عمر بن الخطاب فى الناس فقال:

نص

(إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه، ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع، ويلزم سبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة، أصاب أمره، فظفر بحظه، وذلك بأن الله عزَّ وجلَّ يقول:

﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ (١٠)

وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم، وجلا أهله، وأتاهم من أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر، وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم وجلا، وفيمن أقام ولم يدع شيئا، ولم يجل وفيمن استسلم.

فأجمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غلبه إلا خيرا، وأن من ادعى فصدق أو وفى فبمنزلتهم، وإن كذب نبذ إليهم وأعادوا صلحهم، وأن يجعل أمره من جلا إليهم، فإن شاءوا وادعوهم وكانوا لهم ذمة، وإن شاء وأتموا على منعهم من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال، وأن يخيروا من أقام واستسلم: الجزاء أو الجلاء وكذلك الفلاح) (١١)

(١٠) الكهف الآية: ٤٩

(١١) تاريخ الطبرى: ٤/٤٠٩ ـ ٤١٠

خطبة لسعد والفرس ولست بملك

كتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح وبعدة من قتلوا من المشركين، وبعدة من قتل من المسلمين، بعث بالكتاب مع سعد بن عميلة الفزارى وصورته أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحناهم سنن من كان قبلهم ومن أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤون مثل زهائها، فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبوه ونقله عنهم إلى المسلمين، واتبعهم المسلمون على الأنهار، وصفوف الآجام وفى الفجاج. وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى، وفلان، وفلان، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله، فإنه بهم عالم كانوا يَدْوُّون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كَدَوِىّ النحل، وهم أساد فى النهار لا تشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم.

فيقال أن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق (المنبر) - رضى الله عنهم - ثم قال عمر للناس:

نص

(إنى حريص على أنى لا أرى حاجة إلا سددتها، ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف، ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم، ولست معلمكم إلا بالعمل.

إنى والله لست بملك فأستعبدكم، ولكنى عبد الله عرض على الأمانة فإن أبيتها ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم وترووا سعدت بكم، وإن أنا حملتها واستتبعتكم إلى بيتى شقيت بكم، ففرحت قليلا وحزنت طويلا، فبقيت لا أقال ولا أرد فأستعتب) (١٢)

(١٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٤٤/٧

خطبته بعد طاعون عمواس

من السهل اليسير ذكر الخطبة، ولكن ماذا سنستفيد من الخطبة، إن كنا نجهل سبب مقولة الخطبة؟، لذا أرى أن نذكر أولا سبب مقولة الخطبة، والأحداث التى جرت ثم أسرد عليكم نصها حتى يتبين لنا جيداً ما على الداعية من قول وفعل فى مثل هذه المحنة العظيمة.

أحداث طاعون عمواس:

(قال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن شهر بن حوشب الأشعرى، عن رابة ـ رجل من قومه ـ، وكان قد خلف على أمه بعد أبيه، وكان قد شهد طاعون عمواس قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة فى الناس خطيبا فقال:

(أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه) فطعن فمات.

واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده فقال: (أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة بكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذ يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظهم)

فطعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثم قام فدعا لنفسه فطعن فى راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه، ثم يقول: ما أحب أن لى بما فيك شيئا من الدنيا.

فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام فيهم خطيباً فقال: (أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتحصنوا منه فى الجبال)

فقال أبو وائل الهذلى: كذبت والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حمارى هذا.

قال: والله ما أرد عليك ما تقول، وايم الله لا نقيم عليه.

ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا، ورفعه الله عنهم.

قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص، فوالله ما كرهه، وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا: لماكان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه، وفنى خلق كثير من الناس، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين ذلك.

وعن الشعبى: خرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهل بيته، فلم يرجع منهم إلا أربعة، فقال المهاجر بن خالد بن الوليد:

من يسكنُ الشام يُعرِّس به ... والشام إن لم يُفننا كاربُ

أفنى بنى رَيطةَ فرسا نُهم ... عشرون لم يُقصص لهم شاربُ

ومن بنى أعمامهم مثلهم ... لمثل هذا يعجبُ العاجب

طعناً وطاعوناً منايا هُمُ ... ذلك ما خطَ لنا الكاتبُ

ما جاء فى الخطبة:

قال سيف: وقفل - رجع - عمر من الشام إلى المدينة فى ذى الحجة، وخطب فى الناس حين أراد القفول، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

نص

(ألا إنى قد وليت عليكم وقضيت الذى على فى الذى ولاّنى الله من أمركم، إن شاء الله قسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم، وأبلغنا ما

لديكم، فجندنا لكم الجنود، وهيأنا لكم الفروج، وبوأناكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليه من شامكم، وسمينا لكم أطماعكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم.

فمن عَلِمَ عِلْمَ شىء ينبغى العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله)

وحضرت الصلاة، وقال الناس: لو أمرت بلالا فأذن، فأمره فأذن فما بقى أحد كان أدرك رسول الله ﷺ وبلال يؤذن له إلا بكى حتى بل لحيته، وعمر أشدهم بكاء، وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكر رسول الله ﷺ) (١٣)

ولى تعليق على هذه الأحداث وتلك الخطبة وبكاء الصحابة، ولكنى أؤجل هذا التعليق لذكره فى الإفادة التى بعد كل فصل.

(١٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٧/٧٥ ـ ٧٦، وتاريخ الطبرى: ٥٠/ ٣٦ ـ ٤٠

خطبة الإستسقاء

(عن عاصم بن عمر بن الخطاب قال: قحط الناس زمان عمر عاماً، فهزل المال، فقال أهل بيت من مزينة من أهل البادية لصاحبهم: قد بلغنا، فاذبح لنا شاة، قال: ليس فيهن شىء، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة، فسلخ عن عظم أحمر، فنادى: يا محمداه!

فأرى فيما يرى النائم أن رسول الله ﷺ أتاه، فقال: أبشر بالحيا [(١٤)]

ائت عمر فاقرئه منى السلام، وقل له: إن عهدى بك وأنت وفىّ العهد، شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر!

فجاء حتى أتى باب عمر، فقال لغلامه: استأذن لرسول الله ﷺ، فأتى عمر فأخبره، ففزع وقال: رأيت به مساً، قال: لا. قال: فأدخله.

فدخل فأخبر الخبر.

فخرج فنادى فى الناس، وصعد المنبر

نص

(قال: أنشدكم بالذى هداكم للإسلام، هل رأيتم منى شيئا تكرهونه؟!

قالوا: اللَّهم لا ...، قالوا: ولم ذاك؟

فأخبرهم، ففطنوا ولم يفطن ـ أى: فهموا وعلموا فى حين أن عمر لم يفهم ـ فقالوا: إنما استبطأ فى الاستسقاء، فاستسق بنا، فنادى فى الناس فقام فخطب فأوجز، ثم صلى ركعتين فأوجز، ثم قال: «اللَّهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حَوْلُنا وقوَّتُنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللَّهم فاسقنا، وأحى العباد والبلاد!) [(١٥)]

---

(١٤) الحيا: المطر

(١٥) تاريخ الطبرى: ٧٩/٥

خطبته بعد هزيمة كسرى

بعث الأحنف بكتاب الفتح وما أفاء الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة، ثم ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا.

فقام عمر على المنبر، وقرأ الكتاب بين يديه، ثم قال عمر:

نص

(إن الله بعث محمداً بالهدى ووعد أتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة، فقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١٦)

فالحمد لله الذى أنجز وعده، ونصر جنده، ألا وإن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضير بمسلم، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناؤهم لينظر كيف تعملون، فقوموا فى أمره على وجل (١٧)، يوف لكم بعهده ويؤتكم وعده، ولا تغيروا يستبدل قوما غيركم، فإنى لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم) (١٨)

---

(١٦) التوبة الآية: ٣٣

(١٧) على وجل: أى على خوف ورهبة

(١٧) البداية والنهاية: ١٢٢/٧

خطبته ـ وصية ـ فى جيش سلمة بن قيس

عن سليمان بن بُريَدة، أن أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمَّر عليهم رجلا من أهل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش، فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعى فقال:

نص

(سرْ باسم الله، قاتل فى سبيل الله من كفر بالله، فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال:

ادعوهم إلى الإسلام فإن اسلموا فاختاروا دارهم فعليهم فى أموالهم الزكاة، وليس لهم فى فىء المسلمين نصيب، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذى لكم، وعليهم مثل الذى عليكم، فإن أبوا فادعوهم إلى الخراج، فإن اقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم، وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم، فإن فأبوا فقاتلوهم، فإن الله ناصركم عليهم، فإن تحصنوا منكم فى حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله، فلا تنزلوهم على حكم الله، فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم؟

وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله، وأعطوهم ذمم أنفسكم.

فإن قاتلوكم فلا تغلُّوا ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً) (١٨)

(١٨) تاريخ الطبرى: ١٧٧/٥ ـ ١٧٨

خطبة يحذر فيها عماله وقواده

حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: أخبرنا سعيد الجريرى، عن أبى نضرة، عن أبى فراس، قال: خطب عمر بن الخطاب، فقال:

نص

(يا أيها الناس، إنى والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم.. وسننكم، فمن فعل به شىء سوى ذلك فليرفعه إلى، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه.

فوثب عمرو بن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية، فأدب رعيته إنك لتقصه منه!

قال: إى والذى نفس عمر بيده إذا لأقصنه منه، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه؟

ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمّروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم) (١٩).

---

(١٨) تاريخ الطبرى: ١٩٧/٥

خطبة المشورة فى فلاحى بُهر سير

قبل ذكر خطبة المشورى أرى أنه لابد أن نعرف الأحداث أولا ثم نعرض الخطبه حتى يتم محصول الفهم للخطبه بأمر المولى عزَّ وجلَّ.

أحداث بُهر سير:

لما سار الجيش كله قاصداً بُهر سير، وهى المدينة الغربية فرأى المسلمون إيوان كسرى أمامهم، وتذكروا عن رسول الله ﷺ قال: (عُصَيْبَةٌ من المسلمين يفتحون البيت الأبيض بيت كسرى. أو آل كسرى) (٢٠)

فقويت قلوبهم، وعظمت همتهم، وهؤلاء جديرون بنصر الله لهم، لأنهم على يقين من دينهم، فكلما سنحت لهم فرصة تقربهم إلى الله بادروا إليها.

ونادى ضرار بن الخطاب: «الله أكبر هذا أبيض كسرى، هذا ما وعد الله وصدق رسوله» وكبر، وكبر معه المسلمون.

وحاصر «سعد» المدينة فى ذى الحجة من السنة الرابعة عشرة، وأرسل الخيل لفتح القرى المجاورة، واستشار «سعد» «عمر» فى أسرى الفلاحين «وهذه هى المشورة التى طلبها سعد».

ما جاء فى الخطبة:

فجمع عمر أصحابه وشاورهم وخطبهم فقال:

نص

(إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه، ولا يضر إلا نفسه ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة أصاب أمره، وظفر بحظه.

(٢٠) الحديث أخرجه أحمد، ومسلم فى الفتن

وذلك بأن الله عزَّ وجلَّ يقول:﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٢١)

وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم، وجلا أهله، وأتاهم من أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر؟، وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم وجلا، وفى من أقام ولم يدع شيئا ولم يجل، وفى من استسلم؟ (٢٢)

هذا نص الخطبة والتى سنعلق عليها إن شاء الله فى الإفادة.

(٢١) الكهف الآية: ٤٩

(٢٢) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء للخضرى: ١١٦ ـ ١١٧

خطبته لسارية بن زنيم

كان من المفروض أن تكتب هذه الخطبة فى سيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكنى أثرت أن أكتبها هنا لأن لى تعليق بسيط عليها بعد ذكرها، وبالتحديد هذا التعليق سأذكره إن شاء الله فى الإفادة.

وهناك شىء آخر وهو كان من الممكن أن انقلها لكم من العديد من الكتب ولكنى آثرت أن أنقلها بالنص من كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى لإنه كتبها بسلاسة رهيبة وسوف أذكر لكم إن شاء الله مصادرها الأخرى والآن وحتى لا أطيل عليكم هيا بنا لننعم بهذه الكلمات الجميلة.

يقول العلامة جلال الدين السيوطى: (أخرج البيهقى وأبو نعيم، كلاهما فى دلائل النبوة، واللا لكائى فى شرح السنة، والدير عاقولى فى فوائده، وابن الأعرابى فى كرامات الأولياء، والخطيب فيما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر، قال:

(وجه عمر جيشاً، ورأس عليهم رجلا يدعى (سارية بن زنيم). فبينما عمر يخطب. إذ قال:

نص

«يا ساريةُ الجبلَ، يا ساريةُ الجبلَ، يا ساريةُ الجبلَ»

ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هُزِمْنا، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادى: يا ساريةُ الجبلَ، ثلاثا، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل، فهزمهم الله، قال: قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك وذلك الجبل الذى كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم، قال ابن حجر فى الإصابة: إسناده حسن

وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر، قال كان يخطب يوم الجمعة، فعرض فى خطبته أن قال:

نص

«يا ساريةُ الجبلَ، من استرعى الذئب ظلم»

فالتفت الناس بعضهم لبعض، فقال لهم على: ليخرجن مما قال، فلما فرغ سألوه، فقال: وقع فى خَلَدى أن المشركين هزموا إخواننا وإنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد وإن جاوزوا هلكوا، فخرج منى ما تزعمون أنكم سمعتموه.

قال: فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم، فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا.

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل من عمرو بن الحارث قال: بينما عمر على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال:

نص

«يا ساريةُ الجبلَ، يا ساريةُ الجبلَ، يا ساريةُ الجبلَ»

ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين: لقد جُنَّ، إنه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه، فقال: لشدَّ ما ألومهم عليك إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً، بينما أنت تخطب إذ أنت تصيح يا ساريةُ الجبلَ، أى شىء هذا؟

قال: إنى والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتَونَ من بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملك أن قلت: يا ساريةُ الجبلَ، ليلحقوا بالجبل،

فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابة: إن القوم لقُونا يوم الجمعة، فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة ودار حاجب الشمس سمعنا مناديا ينادى يا ساريةُ الجبلَ، مرتين، فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم، فقال أولئك الذين طعنوا عليه:

دَعُوا هذا الرجل فإنه مصنوع له) (٢٣)

انزل من على منبر أبى

هذه الوقعة اسمحوا لى أن أذكرها بعد خطبة ساريةَ الجبلِ، وأن أعلق عليها فى الإفادة

(أخرج ابن عساكر عن أبى البحترى قال: كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فقام إليه الحسين بن على رضي الله عنه، فقال: انزل عن منبر أبى.

فقال عمر: منبر أبيك لا منبر أبى، من أمرك بهذا؟

فقام على فقال: والله ما أمره بهذا أحد، أما لأوجعنك يا غُدَرُ

فقال عمر بن الخطاب: لا توجع ابن أخى، فقد صدق منبر أبيه) (٢٤)

(٢٣) هذا النص فى تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٣٥، وبنص مشابه فى الكتب الآتية سيرة عمر ابن الخطاب لابن الجوزى: ١٦٣، والبداية والنهاية للعلامة ابن كثير ٧/١٢٣ - ١٢٥ والطبرى.

(٢٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٤٩ وإسناده صحيح

خطبته عند اجتماع أهل فارس فى نهاوند

أولا: الأحداث

المقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند. حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل، وعليهم الفيرزان ويقال: بندار، ويقال: ذو الحاجب. وتذامروا فيما بينهم، وقالوا: إن محمداً الذى جاء العرب لم يتعرض لبلادنا، ولا أبو بكر الذى قام بعده تعرض لنا فى دار ملكنا، وإن عمر بن الخطاب هذا لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا فى عقر دارنا، وأخذ بيت المملكة وليس بمنته حتى يخرجكم من بلادكم فتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة، ثم يشغلوا عمر عن بلاده، وتواثقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتابا.

فلما كتب سعد بذلك إلى عمر وكان قد عزل سعداً فى غضون ذلك - شافه عمر بما تمالئوا عليه وقصدوا إليه، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفا وجاء كتاب عبد الله بن عتبان من الكوفة إلى عمر مع «قريب ابن ظفر العبدى» بأنهم قد اجتمعوا وهو منحرفون متذامرون على الإسلام وأهله، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن تقصدهم فنعالجهم عما همُّوا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا.

فقال عمر لحامل الكتاب: ما اسمك؟. قال: قريب، قال: ابن من؟ قال الرجل: ابن ظفر، فتفاءل بذلك، وقال: ظفر قريب.

ثانيا: الخطبة

ثم أمر فنودى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبى وقاص فتفاءل عمر أيضا بسعد، فصعد المنبر

حتى اجتمع الناس فقال:

(إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، ألا وإني قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.

إني قد رأيت أن أسير بمن قبلي حتى أنزل منزلاً بين هذين المصرين فاستنفِر الناس، ثم أكون لهم رداءاً حتى يفتح الله عليهم) [٢٥]

(٢٥) البداية والنهاية لابن كثير: ٧/١٠١

خطبته بعد بعثة الجيوش

عن حيوة بن شريح أن عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ كان إذا بعث الجيوش أوصاهم بتقوى الله ثم قال عند عقد الألوية:

نص

(بسم الله وعلى عون الله امضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والصبر، قاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين.

ثم لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تتكلموا عند الجهاد، ولا تقتلوا امرأة ولا هرماً ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعان وعند حمة النهضات وفى شن الغارات.

ولا تغلوا عند الغنا ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا وابشروا بالأرباح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (٢٦)

---

(٢٦) شعب الإيمان: ٨/٣٢٣، وسيرة عمر لابن الجوزى: ٧٦

خطبة الله جعلنى خازنا لهذا المال

لنقرأ جيداً هذه الخطبة، هى والخطبة التى تليها إن شاء الله وسيكون لى تعليق عليهما فى الإفادة.

(عن على بن رباح عن ناشرة قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ يقول يوم الجابية وهو يخطب الناس

نص

(إن الله جعلنى خازنا لهذا المال وقاسماً له، ثم قال: بل الله يقسمه وأنا بادئ بأهل النبى ﷺ.

قال: ففرض لأزواج النبى ﷺ عشرة آلاف إلا «جويرية وصفية وميمونة) فقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: إن رسول الله ﷺ كان يعدل بيننا».

فعدل بينهن عمر رضوان الله عليه، ثم قال: «إنى بادئ بأصحابى المهاجرين الأولين فإنا أُخرجنا من ديارنا ظُلماً وعدواناً، ثم أشركهم ففرض لأصحاب بدر منهم خمسة آلاف ولمن شهد بدراً من الأنصار" أربعة آلف، وفرض لمن شهد الحديبية ثلاثة آلاف، وقال: من أسرع فى الهجرة أسرع به العطاء ومن أبطأ فى الهجرة أبطأ به العطاء فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته وإنى أعتذر إليكم من خالد بن الوليد فإنى أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطى ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان فنزعته وأمَّرت أبا عبيدة بن الجراح. فقام أبو عمرو بن حفص بن المغيرة فقال: «والله ما أغدرت يا عمر؛ ولقد نزعت غلاما استعمله رسول الله ووضعت أمرا نصبه رسول الله ﷺ وقطعت رحماً وحسدت بنى العم»

فقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: «إنك قريب القرابة حديث

السن تغضب فى ابن عمك») (٢٧)

هذا الجزء الأخير من الخطبة هو موضع تعليقنا إن شاء الله، ولكن لننظر ما جاء فى الخطبة الثانية

خطبته الله الهادى

رأينا رد عمر بن الخطاب على أبو عمرو بن المغيرة فى الخطبة السابقة، وكيف كان رداً ليناً، ولكن هنا سيرد عمر بن الخطاب على قس «من المسيحيين» فى مسألة دينية فلنقرأ ولنلاحظ بأنفسنا قبل تعليقى على ذلك فى الإفادة.

أخرج أبو داود فى كتاب القدرية، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وغيرهم عن عمر رضي الله عنه أنه خطب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

نص

(من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له

فقال له قس بين يديه كلمة بالفارسية

فقال عمر لمترجم يترجم له: ما يقول

قال: يزعم أن الله لا يُضلُّ أحداً

فقال عمر : كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو أضلك وهو يدخلك النار إن شاء الله ولولا وليت عقداً لضربت عنقك

ثم قال: إن الله خلق آدم نثر ذريته فكتب أهل الجنة وما هم عاملون وأهل النار وما هم عاملون

(٢٧) شعب الإيمان: ٣٠/٦، سيرة عمر لابن الجوزى: ١٤٨

ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه.

فتفرق الناس ويختلفون فى القدر، وعند اللالكائى، وابن عساكر، وغيرهما عن عبد الرحمن بن أبزى قال: أتى عمر فقيل له: إن ناساً يتكلمون فى القدر، فقام خطيبا، فقال: «يا أيها الناس؛ إنما هلك من كان قبلكم من الأمم فى أمر القدر، والذى نفس عمر بيده، لا أسمع برجلين يتكلمان فيه إلا ضربت أعناقهم.

فأحجم الناس؛ فما تكلم أحد حتى ظهر نابغة بالشام زمن الحجاج) [٢٨]

(٢٨) حياة الصحابة: ٢٢٨/٤

خطبته فى مسألة الديوان

عندما قرأت فى صبح الأعشى عن مسألة الديوان، أحسست فى قلبى بمدى عظمة أمير المؤمنين عمر، وأدركت أن الصحابة رضوان الله عليهم، ما هم إلا نبت صالح من الأرض المحمدية، وتلاميذ نجباء لأستاذهم محمد ﷺ، وعُبادهم خير عُباد للواحد الديان، وحتى لا أطيل عليكم استسمحكم فى عرض القصة مع الخطبة حتى تستشعروا ما استشعرته أثناء قراءتى والله الموفق.

(ذكر أبو هلال العسكرى فى «الأوائل» والماوردىُّ فى الأحكام السلطانية» أن أول من وضع الديوان فى الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الماوردى: واختلف الناس فى سبب وضعه له: فقال قوم: «سببه أن أبا هريرة قدِم عليه بمال من البحرين، فقال له عمر: ما جئت به؟

قال أبو هريرة: خمسمائة ألف درهم.

فاستكثر عمر، وقال: أتدرى ما تقول؟

قال: نعم؛ مائة ألف خمس مرات.

فقال: عمر: أطَيِّبٌ هو؟

قال لا أدرى

فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

نص

(أيها الناس؛ قد جاءنا مالٌ كثير، فإن شئتم كِلْنا لكم كَيلاً، وإن شئتم

عددنا لكم عَدّاً، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين: رأيت الأعاجم يدونون ديوانا، فدون أنت لنا ديواناً»

ويروى أن عمر رضي الله عنه استشار المسلمين فى تدوين الدواوين، فقال على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ: تقسم كلَّ سنةٍ ما اجتمع إليك من المال، ولا تُمسك منه شيئاً.

وقال عثمان: أرى مالا كثيراً يسع الناس، فإن لم يُحصوا حتىَّ يُعلَم من أخَذَ ممن لم يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر.

فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديواناً وجندوا جنوداً، فدون ديواناً وجند جنوداً

فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبى طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم وكانوا من شباب قريش فقال: اكتبوا الناس على منازلهم؛

فبدأوا ببنى هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، (ثم عمر وقومه) وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم رفعوه إلى عمر فلما نظر فيه.

قال: «لا؛ وما وددت أنه هكذا، ولكنى أبدأ بقرابة رسول الله ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله»

فشكره العباس على ذلك، وقال: «وصَلَتْك رَحِمٌ»)

خطبته فى الجابية

أخرج العدنى عن الباهلى أن عمر قام فى الناس خطيباً فى مدخله فى الشام بالجابية فقال:

نص

(تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه لم يبلغ منزله ذى حق أن يطاع فى معصية الله، واعلموا أنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق الله، قول بحق وتذكير عظيم، واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجاباً فإن صبر أتاه رزقه وإن اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه. وأدبوا الخيل وانتضلوا (٢٩) وانتعلوا وتسوكوا وتمعددوا (٣٠)

وإياكم وأخلاق العجم ومجاورة الجبارين وأن يرفع بين ظهرانيكم صليب وان تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بغير إزار وتَدَعُوا نساءكم يدخلن الحمامات فإن ذلك لا يحلُّ.

وإياكم أن تكسبوا من عقد الأعاجم بعد نزولكم فى بلادهم يحبسكم فى أرضهم؛ فإنكم توشكون أن ترجعوا إلى بلادكم.

وإياكم والصغار أن تجعلوه فى رقابكم وعليكم بأموال العرب الماشية تنزلون بها حيث نزلتم واعلموا أن الأشربة تصنع من ثلاثة، من الزبيب، والعسل، والتمر فما عُتِّقَ منها فهو خمر لا يحل.

واعلموا أن الله لا يزكى ثلاثةَ نفر ولا ينظر إليهم ولا يقربهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم:

(٢٩) انتضلوا: ارموا بالسهام

(٣٠) تمعددوا: أى: تشبهوا بعيسى محمد بن عدنان؛ وكانوا أهل غلط وتقشف

رجل أعطى إمامه صفقةً يريد بها الدنيا فإن أصابها وفى له وإن لم يصبها لم يف له.

ورجل خرج بسلعة بعد العصر يحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فاشتريت لقوله.

وسباب المؤمن فسوق، وقِتالُهُ كفر، ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام ومن أتى ساحراً أو كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ) (٣١)

(٣١) كنز العمال ٢٠٧/٨

خطبته الإيمان ليس بالتحلى

هذه خطبة عظيمة ينبغى أن يقرأها الكثير من أهل عصرنا، فكم نسمع كل يوم من شخص يقول: أنا حججت وصمت وأفعل.... وأفعل.

وكأنه يَمنُ على المولى عزَّ وجلَّ بهذه الأفعال، وكأنه ما أراد بأفعاله إلا المباهاة، ولعل خطبة الفاروق عمر تبين له خطأه، وتبين له أن هذا الدين أساس لتقويم النفس، وليس أساس للمفاخرة. الدين تقويم وتهذيب وتعمير للقلوب والأبدان والأذهان وإعمار للمجتمع حتى لا ينهار. فإن عملنا بتعاليمه فُزنَا وربحنا فى الدنيا بمجتمع صالح وفى الآخرة برضا المولى عزَّ وجلَّ.

وحتى لا أطيل عليكم فلنقرأ سويا هذه الخطبة التى يهذب فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفوسنا ويرشدنا إلى الطريق القويم مع العلم أنه قالها فى ظروف الخروج للجهاد حتى يوطد الدين فى قلوب الناس.

(عن موسى بن عقبة قال: فقال: عمر بن الخطاب يوم الجابية:)

نص

"أما بعد فإننى أوصيكم بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه الذى بطاعته يكرم أولياءه وبمعصيته يضل أعداءه فليس لهالك هلك معذرة فى فعل ضلالة حسبها هدى ولا فى ترك حق حسبها حسبةُ ضلالةً.

وإنه أحق ما تعاهد الراعى من رعيته أن يتعاهدهم بما لله عليه من وظائف دينهم الذى هداهم الله له، وإنما علينا أن نأمُركُم بما أمَرَكُم الله به من طاعته، وننهاكم عما نهاكم عنه من معصيته وأن نقيم فيكم أمر الله عزَّ وجلَّ فى قريب الناس وبعيدهم ولا نبالى على من مال الحقُّ.

وقد علمتُ أن أقواما يتمنونَ فى دينهم فيقولون: نحن نصلى مع المصلين

ونجاهد مع المجاهدين وننتحلُ الهجرة، وكل ذلك يفعله أقوامُ لا يحملونه لحقِّه، (وإن الإيمان ليس بالتحلى) وإن للصلاة وقتاً اشترطه الله فلا تصلح إلا به فوقت صلاة الفجر حين يزائل المرء ليله ويحرم على الصائم طعامه وشرابه فآتوها حظها من القرآن ووقت صلاة الظهر إذا كان القيظ فحين تزيغ عن الفلك حتى يكون ظلك مثلك وذلك حين يهجر المهجر، فإذا كان الشتاء فحين تزيغُ عن الفلك حتى تكون على حاجبك الأيمن مع شروط الله فى الوضوء والركوع والسجود، وذلك لأن لا ينام عن الصلاة؛ ووقت صلاة العصر والشمس بيضاء نقية قبل أن تصفر قدر ما يسير الراكب على الجمل الثقال فرسخين قبل غروب الشمس، وصلاة المغرب حين تغرب الشمس ويفطر الصائم، وصلاة العشاء حين يعسعس [٣٢] الليل وتذهب حمرة الأفق إلى ثلث الليل فمن رقد قبل ذلك فلا أرقد الله عينيَه، هذه مواقيت الصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [٣٣]

ويقول الرجل: قد هاجرت ولم يهاجر، وإن المهاجرين الذين هجروا السيئات.

ويقول أقوام: جاهدنا، وإن الجهاد فى سبيل الله مجاهدة العدو واجتناب الحرام، وقد يقاتل أقوام، يحسنون القتال لا يريدون بذلك الأجر ولا الذكر، وإنما القتل حتف [٣٤] من الحتوف وكل امرىء على ما قاتل عليه، وإن الرجل ليقاتل بطبيعته من الشجاعة فينجى من يعرف ومن لا يعرف، وإن الرجل ليجبن بطبيعته فيسلم أباه وأمه، وإن الكلب ليهر [٣٥] من وراء أهله.

واعلموا أن الصوم حَرَامُ يجتنب فيه أذى المسلمين كما يمنع الرجل من

(٣٢) يعسعس: يظلم

(٣٣) النساء الآية: ١٠٣

(٣٤) حتف: موت

(٣٥) ليهر: أى: لينبح

لذته من الطعام والشراب والنساء فذلك الصيام، وإيتاء الزكاة التى فرض رسول الله ﷺ طيبة بها أنفسهم فلا يرون عليها براً.

فافهموا ما توعظون به فإن الحرب من حُربَ دينَهُ وإن السعيد من وُعظَ بغيره وإن الشقى من شَقِىَ فى بطن أمه، وإن شر الأمور مبتدعاتها، وإن الاقتصاد فى سنة خير من الاجتهاد فى بدْعَةٍ، وإن للناس نفرةً عن سلطانهم فعائذ بالله أن يدركنى وإياكم ضَغائن (٣٦) مجبولة وأهواءُ مُستَّتبَعَةُ ودنيا مؤثرة.

وقد خشيت أن تركنوا إلى الذين ظلموا، فلا تطمئنوا إلى من أوتى مالاً.

عليكم بهذا القرآن فإنه فيه نوراً وشفاء، وغيره الشقاء، وقد قضيت الذى علىَّ فيما ولانى الله عزَّ وجلَّ من أموركم ووعظتكم نصحاً لكم، وقد أمرنا لكم بأرزاقكم، وقد جندنا لكم جنودكم وهيأنا لكم مغازيكم، وأثبتنا لكم منازلكم، ووسعنا لكم ما بلغ فيكم وما قاتلتم عليه بأسيافكم، فلا حُجَّة لكم على الله بل لله الحجة عليكم، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم) (٣٧)

---

(٣٦) ضغائن: جمع ضغينة، والضغينة: هى الحقد الذى يملأ الصدور

(٣٧) كنز العمال: ٨/٢١٠ بعد قراءة حياة الصحابة ٤/٢٢٩ ـ ٢٣٠

خطبته أيها الناس أصلحوا من سرائركم

هذه هى الخطبة الأخيرة إن شاء الله فى خطب المحن وبها درس عظيم للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يعلم فيه أهله وعشيرته وكذا المجاهدين والمسلمين من بعده ما ينبغى أن يكونوا عليه بالذات فى الخطوب المهمة.

(ذكر سيف فى أن عمر رضي الله عنه ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها على بن أبى طالب فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها:

نص

(أيها الناس؛ أصلحوا سرائِرَكُم تصلح علانيتُكُم واعملوا لآخرتكم تُكْفَوا دنياكم، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أبُ حيٌّ ولا بينه وبين الله هوادة فمن أراد لحب (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدُكُم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما، ومن سَرَّتْهُ حسنته وساءته سَيِّئَتُهُ فهو مؤمنٌ») (٣٨)

(٣٨) حياة الصحابة: ٢٣١/٤٠

الإفادة

فى خطب المحن للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأينا العظمة والقوة والإسلام الذى ترسخ فى قلب هذا الرجل، فصار كلامه حق، وفعله حق، وطريقه حق، يرجُ بقوله وفعله ونهجه رضاء الحق.

ولنستعرض سوياً كيف حدث ذلك؟، ومن أى المواضع يتبين لنا ذلك؟، ولنضع هذه المواضع مرتبه.

١ ـ عند احتضار الصديق أبو بكر طُلِبَ من الفاروق أن يتولى الخلافة فرفض، فأمره أبو بكر، فقبل، ولكنه وضع حداً لمعاملاته مع المسلمين، هذا الحد هو الحد الذى وضعه خليفة رسول الله ﷺ من قبله «من غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة، ومن يحسن نزده حسناً ومن يسىء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم» وصار على هذا النهج لا يفرق فيه بين حبيب وعدو، قريب أو غريب فصدق فعله قوله، فاكتسب ثقة الناس، الداعية الحق يعمل بما يقول لأنه قدوة ولن يقتدى أحد بداعية يخالف فعله قوله.

٢ ـ رأينا فى خطبته فى فلاحى بُهرَ سير كيف أخذ بالمشورة الحق لأنه بدأ خطبته «إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه، ولا يضر إلا نفسه، ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة أصاب أمره، وظفر بحظه» وهذه الكلمات تردع كلام الهوى من النفوس وتجعل الكلام الصواب على أطراف الألسن نابع من القلب فالخطيب البارع والداعية الحق عليه أن يأخذ بالمشورة ولكن ليقدم إلى الناس قبل أخذ المشورة وصدق من قال «لكل مقام مقال» ففى المقامات الخاصة بالدعوة على الداعية أن يتذكر جيداً مسألة التقديم وحسن النصح قبل أخذ المشورة أو الاستعداد لأمر من أمور الدنيا أو الدين.

٣ ـ الداعية لا يراعى فى قوله وعمله إلا الله، فهو بقدر تقربه من الله، وبقدر نيته الصادقه مع الله، سيكون ذو وقع وتأثير على عباد الله. ولمن شاء البينة فليقرأ خطبة عمر فى شأن سارية بن زنيم، وكيف أن عمر بن الخطاب ﵁ لم يهتم بما سيقوله الناس عند فعلته؟، ولكن كان شغله الشاغل الخوف على جيش المسلمين حتى تكون كلمة الله هى العليا، وعندما أراد بعمله وجه الله، كافأه الله حين رجع الجيش وأخبر الناس بما حدث فوقع ذلك؛ فى نفوس المسلمين وآمنوا أن عمر بن الخطاب ﵁ داعية حق لوجه الحق، وينبغى على كل داعية إن يلتزم بالصدق مع الله، فالصدق مع الله يدفع الناس إلى تصديق الداعية.

٤ ـ التواضع وخفض الجناح من أهم صفات الداعية الحق ولقد لمسنا ذلك فى خطبتين: الخطبة الأولى: «خطبة انزل من على منبر أبى» والخطبة الثانية: «الله جعلنى خازنا لهذا المال» ففى الخطبة الأولى قام الحسين وقال لعمر بن الخطاب ﵁: انزل من على منبر أبى، فجاوبه ليتفحص ما بداخله قائلا: منبر أبيك لا منبر أبى؟ من أمرك بهذا؟.

فإذا بعلى بن أبى طالب ﵁ يتدخل ويقول: والله ما أمره بهذا أحد، أما لأوجعنك يا غُدَرُ

وهنا أظهر عمر بن الخطاب ﵁ تواضعه وخفض جناحه، فقال مقولته الشهيرة: «لا توجع ابن أخى فقد صدق منبر أبيه»

هذه الخطبة تبين مدى سعة صدر عمر بن الخطاب ﵁ مع الحسين نعم إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ اشتهر بالقوة والشدة والحسم، ولكن المنبر والدعوة تتطلب اللين والتواضع وخفض الجناح.

وهناك المثل الثانى أيضا فى خطبته: الله جعلنى خازنا لهذا المال حينما قام له أبو عمرو بن حفص بن المغيرة وقال له: «والله ما أغدرت يا عمر؛

ولقد نزعت غلاما استعمله رسول الله ﷺ، ووضعت امرءًا نصبه رسول الله ﷺ، وقطعت رحماً، وحسدت بنى العم» كلام قوى وعمر يخطب بالناس ولو كان هذا الكلام لأى داعية وهو يخطب لنهر هذا الرجل ولعنفه ولجعل محور الكلام عليه حتى يسكت لسانه، ولكن انظروا معى إلى رد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إنك قريب القرابة حديث السن تغضب فى ابن عمك» يا الله على سعة صدرك يا فاروق الأمة لذا ينبغى على كل داعية أن يتحلى بسعة الصدر واللين والتواضع وخفض الجناح

٥ ـ الغضب عند الداعية لا يكون إلا لله فقط، ولننظر سويا فى خطبته «**الله الهادى**» حين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له»

وهنا قال قس كلمات بالفارسية، فطلب عمر رضي الله عنه من المترجم أن يترجم له معنى الكلمات فقال له: إنه يقول: إن الله لا يضل أحد وهنا ثار أمير المؤمنين رضي الله عنه وقال: «كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو أضلك وهو يدخلك النار» هذه الكلمات الثائرة التى خرجت عن غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن لأنه مسيحى لا .... ولكن خرجت لأنه عطل أمر معلوم من الدين وهو «أن الله الهادى وهو المضل» غضب عمر لله ولم يغضب لنفسه وهذا بالطبع من تعاليم رسول الله ﷺ «الغضب لله» فينبغى على كل داعية أن يغضب لله.

٦ ـ على الداعية أن يحب أهل البيت، وهذا ما نراه واضحاً فى «خطبته فى مسألة الديوان» عندما قال: «لا؛ ما وددت أنه هكذا، ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله» نعم هذا هو الحب، الحب بعد موت الرسول ﷺ لأهل بيته، وكذا حب النبى المزروع فى قلب عمر ينبغى أن يزرع فى قلوبنا جميعا وكذا حب أهل بيته.

٧ ـ وأخيرا خطبته فى شأن طاعون عمواس كانت خطبة غاية فى التأثير فلقد قسم الغنائم والأموال على أهل من توفاهم الله ونظر إلى الدنيا وحقارة من اهتم بها وعمل لها وكذا من كان معه من الصحابة الذين حضروا النبى ﷺ، ولقد اتضح ذلك عندما أذن بلال رضي الله عنه فبكوا، بكوا على أحوالهم، بكوا عندما شعروا باللذة الحقيقية التى افتقدوها، هذه اللذة لم تكن الدنيا والغنائم، ولكن الجلوس مع النبى ﷺ وذكر الدار الباقية «الآخرة» التى هى مستقر الجميع، لذا ينبغى على الداعية الحق وكذلك المسلم الحق أن يزهد الدنيا ويطلب ثواب الآخرة ويعمل لها، ويصبح ويمسى وهو على ذكر، عسى الله أن يبلغه مبلغ «النبيين والصديقين والشهداء» وينعم برؤيا الحبيب محمد ﷺ، وأخيرا اللّهم أنعم علينا برؤيا الحبيب محمد ﷺ والأُنس به فى الدنيا والآخرة اللّهم آمين آمين.

الفصل الثانى

خطب المواعظ

الفصل الثانى
خطب المواعظ

الفاروق عمر بن الخطاب أكثر من خطب المواعظ، فالمسلمون كانوا فى حالة فتح، وإغداق، وأموال، وكذا حروب، فعظم الفتح فى عصره فكان يكثر من الموعظة مخافة أن تفتن الدنيا الرعية وتشغلهم الحرب والغنائم عن ذكر الله، وحتى لا أطيل عليكم فلنمضى سويا لنقرأ خطب المواعظ للفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

الشكر واجب

خطب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطبة عظيمة عن شكر النعمة فقال:

نص

(إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشىء غيره، وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم فى البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون.

ثم جعل لكم سمعاً وبصراً. ومن نعم الله عليكم نعم عمَّ بها بنى آدم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة

إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون فى الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان أمة مستبعدة للإسلام وأهله، يجزون لكم يُستصفَون معايشهم وكدائحهم ورشح جباهم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعباً، فليس لهم معقل يلجأون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عزَّ وجلَّ ونزلت بساحتهم، مع رفاغة [1] العيش، واستفاضة المال وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التى لم تكن هذه الأمة على أحسن منها منذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام فى كل بلد.

فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين، مع هذا النعم لا يحصى عددها، ولا يقدر قدرها، ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه؛

فنسأل الله الذى لا إله إلا هو أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارعة الى مرضاته.

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعمة الله عليكم وفى مجالسكم مثنى وفرادى، فإن الله عزَّ وجلَّ قال لموسى ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [2] وقال لمحمد ﷺ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [3] فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت، لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس

(١) رفاغة العيش: سعة العيش وبحبوحته

(٢) إبراهيم الآية: ٥ (٣) الأنفال: ٢٦

معيشه، وأثبتهم بالله جهالة. فلو كان هذا الذى استشلاكم [٤] به لم يكن معه حظ فى دنياكم، غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء أن تشحوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، فَبَلّة [٥] ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا والآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم، فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفاً لهاولانتقالها ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا شىء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير، ونماء للنعمة، واستيجاب للزيادة، هذا لله من أمركم ونهيكم واجب) [٦]

الله أعلم بسرائركم

فى هذه الخطبة يبدأها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بذكر الدنيا، وكيف أنها غرور، ثم يناقش مسألة السريرة، ويرجو حسن العمل من الناس وإصلاح أمورهم، ويبين فى نهاية الخطبة ما لهم من الوالى.

وحتى لا أطيل عليكم فإليكم الخطبة، خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ.

نص

(أيها الناس، إن أبغض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون فى دار غرور.

كنتم على عهد رسول الله ﷺ، تؤخذون بالوحى، فمن أسرَّ شيئاً أخذ

(٤) استشلاكم: دعاكم لينقذكم (٥) فَبَلّة: اسم بمعنى دع

(٦) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٢١١ - ٢١٣

بسريرته، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر شيئا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً.

واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، فأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

أيها الناس، أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القَباطِىّ (٧) فإنه إن لم يشف فإنه يصف (٨).

أيها الناس، إنى لوددت أن أنجو كفافاً لا لى ولا على، وإنى لأرجو إن عُمِّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، والا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه، ولم ينصب إليه يوماً. وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله، ولقيل فى رفق خير من كثير فى عنف، والقتل حتف من الحتوف، يصيب البر والفاجر، والتشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعمد إلى الألى الطويل العظيم فليضربه بعصاه، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره) (٩)

اسألوا أهل الرأى

بودى لو يقرأ خطباء المساجد والدعاة فى كل مكان هذه الخطبه جيداً، لأننا للأسف نحيا عصراً غريباً، عصر كثُرَ فيه أدعياء العلم، فعندما تسأل فى أى شىء، تجد الإجابة جاهزة، وقليلاً ما تجد داعية على قدر من الأمانة حيث يبحث ويسأل هو نفسه أهل الرأى.

(٧) القباطى: ثياب كتان كانت تعمل فى مصر

(٨) معنى هذه الجملة: إن الثياب القباطى إذا لم تكن شفافة بحيث يرى الجسد من خلالها فإنها تصف وتميز جسد المرأة

(٩) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٢١٠ ـ ٢١١

وحتى لا نطيل فإليكم نص الخطبة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عن موسى بن على عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب بالناس بالجابية فقال:

نص

«من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبى بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ ابن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فإن الله جعلنى خازناً وقاسماً، وإنى بادئ بأزواج النبى ﷺ ومُعطِيهن ثم المهاجرين الأوليين أنا وأصحابى أخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا ثم الأنصار الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم. فمن أسرع إلى الهجرة أُسرع به إلى العطاء ومن أبطأ عن الهجرة أبطئ به العطاء ولا يَلُومَنَّ رجل إلا مناخ راحلته» (١٠)

أعداء السنة

هذه الخطبه تكشف لنا عن حال الكثيرين من عصرنا، إلا من رحم ربى وتمسك بما جاء فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، واتبع الخلفاء المهديين.

وحتى لا أطيل عليكم فإليكم ما قاله أمير المؤنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. عن عبد الله بن هرون بن عنيزة عن أبيه عن جده قال: قال عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ على المنبر :

(١٠) رواه البيهقى فى السنن: ٦/ ٢١٠

نص

(ألا إن أصحاب الرأى، أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فأفتوا برأيهم، فضلوا وأضلوا، ألا وإنا نقتدى ولا نبتدى، ونتبع ولا نبتدع.

ما نضل ما تمسكنا بالأثر» (١١)

ولكن السؤال الآن كيف يكون المرؤ منا؟ بالذات إذا خطا على طريق الدعوة؟

أفقه من عمر

ينبغى على الداعية أن يكون مُكثراً من التعلم، مُكثراً من سؤال أهل العلم فى ميادين التخصص المختلفة، وإن أخطأ فعليه الرجوع إلى الحق. وإليكم الدليل.

عن مسروق بن الأجدع قال: ركِبَ عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - منبر رسول الله ﷺ فخطب بالناس فقال:

نص

«يا أيها الناس ما إكثارُكم فى صدقات النساء (١٢) وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - يقللون، وإنما الصَدُقات ما من أربعمائة درهم فما دون ولو كان الإكثار من ذلك تقوى أوفى مكرمة لم تسبقوهم إليها، فلا أَعرِفَنَّ ما زاد رجل فى صَدَاقِ امرأة على أربعمائة درهم.

ثم نزل فاعترضته امرأةَ من قريش، فقالت: يا أمير المؤمنين أنهيت

(١١) أخرج نحوه أبو داود ولكنه قال: مرسلا، وأخرجه الدارقطنى فى السند (١٤٦/٤)

(١٢) صدقات النساء: المهور التي تدفع للنساء عند الزواج

الناس أن يزيدوا النساء فى صدُقاتهن على أربعمائة درهم؟

قال: نعم.

فقالت: أو ما سمعت الله يقول ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (١٣)

فقال: اللَّهم اغفر...!! «كل إنسان أفقه من عمر» ثم رجع فركب المنبر ثم قال:

«أيها الناس إنى كنت قد نهيتكم أن تزيدوا النساء فى صَدُقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله أحَبَّ وطابت به نفسه فليفعل» (١٤)

برغم أن هذه الخطبة باسنادها ضعف ولكنها ذكرت فى العديد من الكتب وهى دليل على ارتجاع الداعية وعدوله من رأيه إن كان مخطئً فلا عيب أبداً فى ذلك.

ولكن عمر رضي الله عنه لم يُشَرع ولكنه أشار إلى السنة والمستحب وإليكم النص الصحيح الذى جاء عن الفاروق.

المهور ليست مكرمة فى الدنيا

هذه الخطبة ذات إسناد صحيح ولكن الخطبة السابقة كانت للاستدلال على العدول عن الرأى إن كان الدعاية مخطئاً وهذه الخطبة للاستدلال

على أن المهور والمغالاة فيها ليست مكرمة أو تقوى حتى يغالى من غالى بالمهر.

---

(١٣) النساء الآية: ٢٠

(١٤) سيرة عمر لابن الجوزى: ١٤٢، والبيهقى: ٢٣٣/٧. وهو فى الدر المنثور: ١٣٣/٢، وبهذا الحديث ضعف كما قال الشعبى والخطيب

وحتى لا نطيل؛ فإليكم الخطبة.

حدثنا سفيان عن أيوب عن ابن سيرين سمعه من أبى العجفاء سمعت عمر يقول:

نص

(لا تغلوا صدق النساء، فإنها لو كانت مكرمةً فى الدنيا أو تقوى فى الآخرة لكان أولاكم بها النبى ﷺ، ما أنكح شيئا من بناته ولا نسائه فوق اثنتى عشرة أوقيَّة وأخرى تقولونها فى مغازيكم:

قتل فلان شهيداً، مات فلان شهيداً، ولعله أن يكون قد أوقر عجز دابته أو دَفَّ راحلته ذهبا وفضة يبتغى التجارة، فلا تقولوا ذاكم، ولكن قولوا كما قال محمد ﷺ: «من قتل فى سبيل الله فهو فى الجنة») (١٥)

من المؤمن؟

عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: خطب عمر الناس بالجابية فقال: إن رسول الله ﷺ قام فى مثل مقامى هذا فقال:

نص

«أحسنوا إلى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجىء قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يُستحلف عليها، ويشهد على الشهادة قبل أن يُستشهد، فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان، ومن كان منكم تسره حسنته وتسوؤه سيئته فهو مؤمن» (١٦)

(١٥) مسند الإمام أحمد: ٤٨/١ وإسناده صحيح

(١٦) رواه الإمام أحمد فى مسنده: ٢٦/١، والنسائى فى الكبرى على ماجاء فى تحفة الأشراف: ١٥/٨

حكم سجدة التلاوة

جاء فى البخارى، حدثنا إبراهيم بن موسى قال: أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج قال أخبرنى أبو بكر بن أبى مليكة عن عثمان بن عبد الرحمن التيمى عن ربيعة بن عبد الله بن الهدير التيمى - قال أبو بكر: وكان ربيعة من خيار الناس - عما حضر ربيعة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

نص

(قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال: «يا أيها الناس، إنما نمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه.» ولم يسجد عمر رضي الله عنه. وزاد نافع عن ابن عمر رضي الله عنه: «إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء») (١٧)

غسل الجمعة واجب

هناك العديد من النصوص فى هذه الخطبة ولكنا سنكتفى إن شاء الله بنصين فقط وإليكم النصين.

عن ابن شهاب عن عبد الله عن ابن عمر قال:

النص الأول

(دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ المسجد يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب الناس، فقال عمر: أية ساعة هذه؟

(١٧) فتح البارى شرح صحيح البخارى: ٢/٥٥٧، كتاب سجود القرآن

فقال: يا أمير المؤمنين، انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت أن توضأت.

فقال عمر: والوضوء أيضا وقد علمت: «أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل» (١٨)

هذا هو النص الأول وإليكم النص الثانى لهذه الخطبة

ـ حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه:

النص الثانى

(أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم يخطب يوم الجمعة فدخل رجل من أصحاب النبى ﷺ.

فناداه عمر: أية ساعة هذه؟

فقال: إنى شغلت اليوم فلم أنقلب إلى أهلى حتى سمعت النداء، فلم أزد على أن توضأت.

فقال عمر : الوضوء أيضاً وقد علمتم، (وفى موضع آخر) وقد علمت: «أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل» (١٩)

اليهود أعداؤنا

عن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمناها تفرقنا فى أموالنا، قال: فعدى على تحت الليل وأنا نائم على فراشى، فدعت يداى من مرفقى، فلما أصبحت

(١٨) الحديث فى مسند الإمام أحمد ٢٩/١، والنسائى على ماجاء فى التحفة: ٥٥/٨

(١٩) مسند الإمام أحمد: ٢٩/١ ـ ٣٠

استُصرخ على صاحباى فأتيانى فسألانى عمن صنع هذا بك؟

قلت: لا أدرى، قال: فأصلحا من يدى، ثم قدموا بى على عمر

فقال: هذا عمل يهودى، ثم قام فى الناس خطيباً، فقال:

نص

(أيها الناس، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر، ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصار قبله، لا نشك أنهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإنى مخرج يهود) (٢٠) وأخرجهم.

الخمر من خمسة

روى عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر النبى ﷺ يقول:

نص

(أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير.

والخمر ما خامر العقل) (٢١)

(٢٠) مسند الإمام أحمد: ١/١٥

(٢١) فتح البارى: ٨/٢٧٧، والترمذى: ٤/٢٩٧

الأعمال بالنيات

حدثنا يزيد أنبأنا يحيى بن سعيد أن محمد بن إبراهيم أخبره أنه سمع علقمة بن وقاص الليثى يقول: إنه سمع عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس وهو يقول:

نص

(سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إنما العمل بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (٢٢)

أولياء الله

حدثنا زهير بن حرب وعثمان بن أبى شيبة، قالا: حدثنا جرير عن عمارة ابن القعقاع، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير، أن عمر بن الخطاب قال:

نص

(قال النبى ﷺ «إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء، والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى»

قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم...؛؟

قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور: لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس».

(٢٢) رواه الجماعة (البخارى، ومسلم، والنسائى، وأحمد)، وقال الترمذى: حسن صحيح

وقرأ هذه الآية «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (٢٣)

حصنوا فروج النساء

حدثنا عبيدة بن حميد عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: خطب عمر الناس فقال:

نص

(إن الله عزَّ وجلَّ رخص لنبيه ﷺ ما شاء، وإن نبى الله ﷺ قد مضى لسبيله، فأتموا الحج والعمرة، كما أمركم الله عزَّ وجلَّ، وحصنوا فروج هذه النساء) (٢٤) .

خطبة عيد الفطر

جاء فى خطبة عيد الفطر أكثر من نص أسوق إليكم أحدهم بإسناد وأكتفى فى الآخرين بذكر النصوص.

حدثنا سفيان عن الزهرى سمع أبا عُبيد قال: شهدتُ العيد مع عمر، فبدأ بالصلاه قبل الخطبة وقال:

النص الأول

(إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين، أمَّا يوم الفطر ففطركم من صومكم، وأما يوم الأضحى فكلوا من لحم نُسُكِكُم)

(٢٣) أبو داود: ٣/٢٨٨

(٢٤) مسند الإمام أحمد: ١/١٧

النص الثانى

(يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين، أما أحدهما فيوم فطركم من صيامكم وعيدُكم، وأما الآخر فيومٌ تأكلون فيه من نُسُكِكم)

النص الثالث

(إن هذين يوما، نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما، يومُ فطركم من صيامكم، والآخرُ يوم تأكلون فيه من نسككم) (٢٥)

أخوف ما أخاف

حدثنا يزيد أنبأنا دَيْلم بن غزوان العبدى حدثنا ميمون الكُردى عن أبى عثمان الهندى قال:

إنى لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب الناس فقال فى خطبته:

نص

(سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ على هذه الأمة كلَّ منافقٍ عليمِ اللسان») (٢٦)

أحلوا لى ثلاثة دراهم

هذه خطبة قصيرقجداً، ولكنها غاية فى التأثير والعظمة، واسمحوا لى

(٢٥) النصوص الثلاثة في مسند الإمام أحمد: ١/٢٤ . ٣٤ . ٤٠

(٢٦) مسند الإمام أحمد: ١/٤٤

أن أسوق لكم ما قيل فى حق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى شأن زهده ثم أسوق لكم هذه الخطبة حتى تعلموا كيف أن هذا الفاروق قد طبق قبل أن يتحدث؟ وحتى لا أطيل فإليكم نص ما قيل.

عن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا الصبر» (٢٧)

عن حبيب بن أبى ثابت عن عمر ـ رضوان الله عليه ـ قال: (قدم عليه ناس من أهل العراق منهم جرير بن عبد الله قال: فأتاهم بجفنة قد صنعت بخبز وزيت فقال لهم: خذوا، فأخذوا أخذا ضعيفاً. فقال لهم عمر: قد رأى ما تقرمطون (٢٨) فأى شىء تريدون....؟ حلوا أو حامضاً؛ أو حاراً أو بارداً؛ وقد قذف فى البطون) (٢٩)

يقصد بهذه القصة تعيبون أن الأكل أكل بسيط وتريدون الفواكة والثريد وما إلى ذلك من متع ـ «يعيب عليهم طلبهم الدنيا».

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: (قدم على عمر ـ رضوان الله عليه ـ ناس من العراق فرأى كأنهم يأكلون تغديراً، فقال: هذا يا أهل العراق ولو شئت أن ندهمق (٣٠) لكم لفعلت ولكنا نستبقى من دنيانا ما نجده فى آخرتنا أما سمعتم قول الله تعالى ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ (٣١)) (٣٢)

وعن الحسن ـ رحمه الله ـ أن عمر ـ رضوان الله عليه ـ قال: (والله إنى لو شئت كنت ألينكم طعاماً وأرقكم عيشاً إنى والله ما أجهل عن كراكر (٣٣)

(٢٧) الزهد لابن المبارك: ٦٣٠
(٢٨) تقرمطون: تأكلون ضعيفاً
(٢٩) الحليه: ٤٩/١
(٣٠) ندهمق: أى: نجعل الطعام طيبا رقيقا
(٣١) الأحقاف الآية: ٢٠
(٣٢) الحلية: ٤٩/١
(٣٣) الكراكر: زور البعير أو صدور كل ذى ظفر

وأسنمة وعن صلاء (٣٤) وصناب (٣٥) وصلائق (٣٦) ولكنى سمعت الله تعالى عير قوما بأمر فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾(الأحقاف: ٢٠) (٣٧)

وعن الحسن ـ رحمه الله ـ قال: خطب عمر الناس وهو خليفه وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة

كل هذه القصص العظيمة، كانت مع من فتح الأمصار، وغزت جيوشه الفرس والروم، لم يرد الدنيا، فهذا من تربية المدرسة المحمدية، كان داعياً إلى الله، مخلصا فى عمله قبل قوله فحسنت دعوته، لو أراد خير الدنيا لأغتنم ولكنه كان يضع نصاب عينيه ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ كان يعمر قلبه بذخيرة الإيمان فملأ قلبه بالقرآن كلام الله وجعل سلوكه ومشعله «قال الله وقال رسول الله ﷺ فهو خير دارس وخير داعيه تخرج من المدرسة المحمدية فرحمة الله عليك يا فاروق الأمة.

وحتى لا أطيل عليكم فإليكم الخطبه التى أخبرتكم أنها قصيرة، قليلة الكلمات ولكنها عظيمة المعانى.

قال القاسم: خطب عمر بالناس فقال:

نص

(إن أمير المؤمنين يشتكى بطنه من الزيت فإن رأيتم أن تحلوا له ثلاثة دراهم من عكة سمن من بيت مالكم فافعلوا) (٣٨)

(٣٤) صلاء: الشواء
(٣٥) صناب: الخردل مع الزبيب
(٣٦) صلائق: الخبز الرقاق
(٣٧) الزهد لابن المبارك: ٥٧٩
(٣٨) انظر سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى: ١٠٤

يا الله أمير المؤمنين يستأذن فى ثلاثة دراهم وهو يملك أموال كسرى وقيصر رحمة الله عليك يا فاروق الأمة ـ حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر.

أيها الناس ألا تسمعون؟

قد تحدثنا وقلنا أن الداعية ينبغى أن يوافق قوله فعله حتى يكون مصدر ثقة عند العامة والخاصة وضربنا مثلا فى الخطبة السابقة وما قبلها من بعض ما قيل فى حق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهنا سنضرب مثلاً مشابها.

عن العتبى قال: بعث إلى عمر ـ رضوان الله عليه ـ بحلل فقسمها فأصاب كل رجل منا ثوبا ثم صعد المنبر وعليه حلة والحلة ثوبان فقال:

نص

(أيها الناس ألا تسمعون...؟

فقال سلمان «رضي الله عنه»: لا نسمع

فقال عمر: ولم يا أبا عبد الله...؟

قال: إنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة.

فقال: لا تعجل يا أبا عبد الله ثم نادى على عبد الله فلم يجبه أحد فقال: يا عبد الله بن عمر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: الثوب الذى أتزرت فيه هو ثوبك...؟

قال عبد الله: اللّهم نعم.

فقال سلمان: الآن فقل نسمع) (٣٩)

(٣٩) سيرة عمر لابن الجوزى: ١٣٩

حكم زواج المتعة

عن أبى عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب فقال:

(إن رسول الله ﷺ أذن لنا فى المتعة ثلاثاً ثم حَرَّمَها، والله لا أعلمُ أحداً تَمَتَّع وهو مُحصنٌ إلا رجمتُهُ بالحجارة إلا أن يأتينى بأربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلَّها بعد إذ حَرَّمَها، ولا أجدُ رجلاً من المسلمين متمتعاً إلا جَلَدتُهُ مائةَ جلدةٍ إلا أن يأتينى بأربعة شهداء أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حَرَّمَها) (٤٠)

لا تبيعوا أمهات أولادكم

عن عبد الله بن سعيد عن جده أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول:

نص

(يا معشر المسلمين إن الله قد أفاء عليكم من بلاد الأعاجم من نسائهم وأولادهم ما لم يفئ على رسول الله ﷺ ولا على أبى بكر وقد عرفت أن رجالاً يسلمون بالنساء، وأيما الرَّجُلُ أن يطأ حَريمَه وهو لا يشعُرُ) (٤١)

الوضوء من المَذْى

قبل ذكر هذه الخطبة لابد وأن نعرف أولا معنى المذى والمنى:

المذى: هو ماء أبيض لزج يخرج عند التفكير فى الجماع أو الملاعبة مع الزوجة، وفى بعض الأحيان لا يشعر الإنسان بخروجه ويكون من الرجل والمرأة، وهو نجس باتفاق العلماء يجب غسل الثياب أو نضح الماء والرش على

(٤٠) حياة الصحابة: ٢٣٨/٤ ـ ٢٣٩

(٤١) المرجع السابق: ٢٣٩/٤

الثوب ولكنه لا يوجب الغسل

المنى: هو ما يخرج من الرجل عند تمام شهوته وهو طاهر يغسل إذا كان رطبا ويفرك إذا كان يابسا ولكنه يوجب الغسل.

أما الآن فإليكم نص الخطبة:

عن سليمان بن يسار قال: خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:

نص

(يا أيها الناس إنه يكون مَنِيٌّ، ومَذْيٌ، وإن كل فَحْل يمذى يغتسل من المنى ويتوضأ من المذى) (٤٢)

والمراد بكلمة فحل: بالغ كامل صفات الذكورة.

التحيات لله

عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنه سمع عمر بن الخطاب، وهو على المنبر، يعلم الناس التشهد يقول:

نص

(قولوا: التحيات لله، الزَّاكِيَاتُ لله، الطيبات الصَّلَوَاتُ لله، السلام عليك أيها النبى ورحمةُ الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهدأن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسُولُهُ) (٤٣)

بعد ذكر الخطبة أرى كلمات كثيرة تستحق التفسير لذا اسمحوا لى أن أنقل لكم تفسيرها من أستاذنا محمد فؤاد عبد الباقى حيث قال:

(٤٢) كنز العمال: ٥٣٩/٩ (٤٣) الموطأ: ٩٠/١ ـ ٩١

التحيات: جمع تحية ومعناها السلام، والتحيات لله: أى أنواع الثناء والتعظيم له.

الزَّاكِيَاتُ: هى صالح الأعمال التى يزكو لصاحبها الثواب فى الآخرة.

الطيبات: أى ما طاب من القول، وحَسُنَ أن يثنى على الله

الصلوات: هى الخمس، أو هو أعم من الفرائض والنوافل فى كل شريعة أو العبادات كلها. والدعوات أو الرحمة

وقيل: التحيات العبادات القولية. والطيبات الصدقات المالية. والصلوات العبادات الفعلية «ورحمة الله» أى إحسانه» (٤٤)

اليوم حىٌ وغداً ميت

أخرج البيهقى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فى خطبته:

نص

(أفلح منكم من حُفِظَ من الهوى والغضب والطمع، وَوُفِّقَ إلى الصِّدقِ فى الحديث فإنه يجره إلى الخير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، إياكمَ والفجور؛

ما فجور من خلق من التراب وإلى التراب يعود، اليوم حىٌّ وغداً ميت، اعملوا عمل يوم بيومٍ، واجتنبوا دعوة المظلوم، وَعُدُّوا أنفسكم من الموتى) (٤٥)

(٤٤) الموطأ: ١/٩٠

(٤٥) حياة الصحابة: ٤/٢٣٩

من لا يَرْحَم لا يُرْحَم

أخرج البخارى فى الأدب، وابن خزيمة، وجعفر الفِريابى عن قبيصة قال: سمعت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يقول على المنبر:

نص

(من لا يَرْحَم لا يُرْحَم، ومن لا يَغْفِر لا يُغْفَر له، ومن لا يتب لا يتَابُ عليه ومن لا يَتَّق لا يُوَقّه) (٤٦)

اتقوا الله

اخرج ابن سعد فى كتابه عن سليمان بن يسار قال: خطب عمر بن الخطاب الناس فى زمان الرمادة فقال:

نص

(أيها الناس....؛

اتقوا الله فى أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمركم فقد ابتليت بكم، وابتليتم بى، فما أدرى السَّخَطة علىَّ دُونَكم أو عليكم دُونى أو قد عَمَّتنِى وعمَّتكُمْ، فهلموا فلندعُ الله يصلح قلوبنا وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المحلَ.

قال: فرئى عمر يومئذ رافعاً يديه يدعو الله ودعا الناس وبكى وبكى الناس ملياً ثم نزل) (٤٧)

(٤٦) نفس المرجع السابق

(٤٧) حياة الصحابة: ٤/٢٤١

الحياء من الله

قبل أن أنقل هذه الخطبة أرجو أن تدققوا فى كل كلمة فيها، حيث سترون أن الصدق ينبغى أن يكون مع الله ومن يصدق مع الله يصدقه الناس فى دعوته.

عن خالد بن اللجلاج أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، صلى يوما بالناس فلما جلس فى الركعتين الأوليين أطال الجلوس، فلما استَقَلَّ قائما نكص «رجع» خلفهُ، فأخذ بيد رجل من القوم فقدَّمَهُ مكانه فلما خرج إلى العصر صلى بالناس، فلما انصرف أخذ بجناح المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

نص

(أما بعد:

أيها الناس....فإنى توضَّأتُ فمررتُ بامرأة من أهلى فكان منى، ومنها ما شاء الله أن يكون، فلما كنتُ فى صلاتى وجدت بللاً، فخيرتُ نفسى بين أمرين:

إما أن أستحيى منكم وأجترئُ على الله.

وإما أن أستحيى من الله، وأجترئُ عليكم.

فكان أن أستحيى من الله واجترئُ عليكم أحب إلىَّ، فخرجت فتوضأتُ، وجدَّدت صلاتى، فمن صنع كما صنعته فليصنع كما صنعت) (٤٨)

أخاف الله

عن المدائنى قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر أحس فى نفسه بريح خرجت منه فقال:

(٤٨) البيهقىُ: ١١٨/٣

نص

أيها الناس إنى قد مَيَّلتُ [٤٩] بين أن أخَافَكم فى الله، وبين أن أخاف الله فيكم.

فكان أن أخاف الله فيكم أحبَّ إلىَّ، ألا وإنى قد فَسَوّتُ وها أنذا أنزل لأعيد الوضوء) [٥٠]

إياكم والبطنة

جاء عن ابن الجوزى عن مجاهد قال: قال عمر ـ رضوان الله عليه ـ:

نص

(أيها الناس....؛ إياكم والبطنة من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة لله عزَّ وجلَّ، مفسدة للجسد، مورثة للسقم، وإن الله عزَّ وجلَّ، يبغض الحبر السمين، ولكن عليكم بالقصد فى قوتكم، فإنه أدنى من الإصلاح وأبعد من السرف وأقوى على عبادة الله عزَّ وجلَّ، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه) [٥١]

ليس لهالك هلك عذر

عن عدى بن سهيل الأنصارى قال: قام عمر فى الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال:

(٤٩) ميلت: بمعنى ترددت

(٥٠) عيون الأخبار لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: ١/ ٢٧٠

(٥١) سيرة عمر لابن الجوزى: ١٧٢

نص

(أما بعد: فإنى أوصيكم بتقوى الله الذى يبقى ويفنى سواه والذى بطاعته ينفع أولياءه ويضر بمعصيته أعداءه فإنه ليس لهالك هلك عذر فى بعض ضلالة حسبها هدى ولا ترك حق حسبه ضلالة قد ثبتت الحجة وانقطع العذر، ولا حجة لأحد على الله عزَّ وجلَّ إلا أن أحق ما تعاهد الراعى رعيته أن يتعاهدهم بالذى لله عزَّ وجلَّ عليهم من وظائف دينهم الذى هداهم به وإنما علينا أن نأمركم بالذى أمركم الله من طاعته وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته وأن نقيم أمر الله فى قريب الناس وبعيدهم لا نبالى على من مال الحق ليتعلم الجاهل ويتعظ المفرط وليقتدى المقتدى وقد علمن أن أقواما منهم من يقول بما أمر به وفعله منول عن ذلك.

وأن أقواما يتمنون فى أنفسهم ويقولون: نحن نصلى مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين وننتحل الهجرة ونقاتل العدو وكل ذلك يفعله أقوام لا يحتملونه بحقه فإن الإيمان ليس بالتمنى ولكنه بالحقائق فمن قام على الفرائض وسدد نيته وخشيته، فذالكم الناجى، ومن زاد اجتهادا وجد عند الله مزيداً.

وأن الجهاد سنام العمل وإنما المهاجرون الذى يهجرون السيئات ومن يأتى بها ويقول أقوام: جاهدوا وإنما الجهاد فى سبيل الله اجتناب المحارم مع مجاهدة العدو وأن الأمر جد فجدوا.

وقد تقاتل أقوام لا يريدون غير الأجر وآخرون لا يريدون غير الذكر وأن الله عزَّ وجلَّ رضى منكم باليسير وأثابكم على اليسير الكثير، الوظائف أدوها تؤد بكم إلى الجنة، السنة السنة أكرموها تُنجكم من البدعة.

تعلموا ولا تعجزوا فإنه من عجز تكلف وأن شرار الأمور محدثاتها وأن الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى الضلالة فافهموا ما توعظون به فإن الحريب (٥٢) من حرب دينه وأن السعيد من وعظ بغيره وأن الشقى من شقى فى بطن أمه وعليكم بالسمع والطاعة فإن الله قضى لهما بالعز وإياكم والمعصية والتفرق فإنه الله قضى لهما بالذل وأن الناس نفرة عن سلطانهم فعائذ بالله أن تدركنى) (٥٣)

إياكم وأخلاق العجم

فلنقرأ سويا هذه الخطبة ثم لنمعن فى كل كلمة وبعد الإمعان نسأل العون من الله أن نطبق هذه الكلمات العظيمة التى يجب أن يعمل بها أى مسلم.

عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ:

نص

(أدنوا الخيل وتسوكوا وانتضلوا واقعدوا فى الشمس، ولا يجاورنكم الخنازير.

ولا يرفع فيكم صليب، ولا تأكلوا فى مائدة يشرب عليها الخمر، وإياكم وأخلاق العجم ولا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام إلا بمئزر، ولا يحل لامرأة أن تدخل الحمام إلا من سقم فإن عائشة أم المؤمنين حدثتنى قال:

(حدثنى خليلى رسول الله ﷺ على مفرش هذا قال: إذا وضعت المرأة خمارها فى غير بيت زوجها هتكت ستر ما بينها وبين الله.

(٥٢) الحريب: أى: السليب (من سُلب دينه)

(٥٣) سيرة عمر لابن الجوزى: ١٧٥ ـ ١٧٦

قالت: وكان يكره أن يصور الرجل نفسه كما تصور المرأة نفسها وأن لا يزال كل يوم مكتحلاً وأن لا يحف لحيته وشاربه كما تحف المرأة) (٥٤)

صلاح المال فى ثلاث

هذه هى آخر خطبة من خطب المواعظ أسوقها إليكم وهى: قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

نص

(ألا وإنى ما وجدتُ صلاح ما ولانى الله إلا بثلاث: أداء الأمانة، والآخذ بالقُوَّةِ، والحكم بما أنزل الله.

ألا وإنى ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث: أن يؤخذ من حَقٍّ، ويُعطى من حق، ويُمنع من باطِلٍ، ألا وإنما أنا فى مالكم كوالى اليتيم، إن استغنيتُ استعففتُ، وإن افتقرتُ أكلت بالمعروف تَقَرُّمَ البهمة الأعرابية: الخصم لا الخصم) (٥٥)

(٥٤) سيرة عمر: ١٨٧

(٥٥) نثر الدر: ٢/٣٣

الإفادة

الإفادة فى خطب المواعظ، تحتاج إلى العديد والعديد، من الكتب، حتى نستطيع إخراج الإفادة من خطب المواعظ، ولكنى سأكتفى بثلاث نقاط فقط.

النقطة الأولى: على الداعية أن ينظر إلى من يستمع اليه، فيرى حاجته ويرشده إليها.

فمثلا إن رأى الداعية أن اللهو، أو التكاسل عن الصلاة، هى السمة المميزة لأغلب الحاضرين، فعليه أن يخطب ويتحدث فى هذا الشأن.

ولنا أكبر دليل فى خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما رأى أن مهور النساء قد ارتفعت فتحدث فى هذا الشأن، وعندما أحس بمدى الفتح وكيف أن المسلمين قد اندمجوا مع العجم فخاف عليهم أن يتعلموا من خصالهم فخطب فى ذلك الأمر.

خلاصة هذه النقطة ينبغى على الداعية أن يتحدث فى الأمور التى يتعايشها الناس.

النقطة الثانية: التخول بالفقه فإننا نرى الأئمه والوعاظ فى المساجد يكثرون من القصص والرقائق ويقلون فى دروس الفقه، مع أن الفقه من العلوم الهامة جداً، حيث يمارسها الناس فى حياتهم اليومية، ولقد رأينا أكبر مثل فى ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتحريم الخمر وفى أى شىء توجد الخمر، وكذا فى خطبته عن المهور وعن النية، وسيأتى فى الفصل الثالث إن شاء الله ذكره لمسألة الرجم.

النقطة الثالثة: هذه النقطة من أهم النقاط وهى «قلب الداعية» لقد تحدثنا عن خفض الجناح وما ينبغى أن يكون عليه الداعية من تواضع

والسؤال الآن كيف يزرع فى قلب الداعية التواضع واللين وخفض الجناح؟

وللإجابة اسمحوا لى أن تكون إجابتى مدعمة بأقوال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أولا: التواضع يرفع من شأن صاحبه إذا علم المرؤ منا ذلك أحس بقيمتة وعمل به وفى ذلك قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته يقال له: انتعش أنعشك الله، فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس عظيم، وإذا تكبر وعتى وهصه الله إلى الأرض وقال: اخسأ خسأك الله فهو فى نفسه عظيم وفى أعين الناس حقير حتى يكون عندهم أحقر من الخنازير. «اخسأ بمعنى أبعد ووهصه بمعنى كسره) (٥٦)

ثانيا: العلم له هدف سامى جداً فالعلم يرفع صاحبه إذا قدر صاحبه العلم ويخفض صاحبه إذا لم يقدره، وحتى يرفع العلم صاحبه ينبغى أن نعمل بقول الفاروق (لا يتعلم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث: لا يتعلم ليمارى به، ولا يباهى به، ولا يرأى به.

ولا يترك حياء من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضى بالجهل منه) (٥٧)

ثالثا: تزرع القناعة واللين وخفض الجناح فى قلب كل من أراد حقيقة الدنيا، فإن أدركنا أنها زائلة ولن تبقى وأنها ليست أكثر من معبر ينتهى، إما إلى الجنة لمن عمر قلبه بالإيمان، وإما إلى النار لمن تكبر وتجبر، هنا عند هذا الإدراك سنجد القلب لين يخشى الله وممن أدرك ذلك الفاروق ولنقرأ سويا هذه القصة. عن سعيد بن المسيب قال: (حج عمر، فلما كان بضَنَجْانَ قال: لا إله إلا الله العظيم العلى، المعطى ما شاء من شاء؛

كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مِدرعةِ صوف، وكان فظاً

(٥٦) سيرة عمر لابن الجوزى: ١٨٩ (٥٧) المرجع السابق

يتعبنى إذا عملت، ويضربنى إذا قصرت، وقد أمسيت وليس بينى وبين الله أحد، ثم تمثل:

لا شىء فيما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والوَلدُ
لم تغن عن هرمُز يوما خزائنه ... والخُلدَ قد حاولت عاد فما خَلدوا
ولا سُليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجنُّ فيما بينهما تَردُ
أين الملوك التى كانت نوافلها ... من كل أوْب إليها راكب يَفِدُ؟
حوضا هنالك مورودا بلا كذب ... لابد من ورده يوما كما وَردُوا) (٥٨)

أرأيتم معى فهم حقيقة الدنيا، لقد فهمها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه فرق قلبه ولان وخرجت الكلمات من قلبه لتصل إلى قلوب كل من استمع فما خرج من القلب وصل إلى القلب وما خرج من اللسان فمبلغه الآذان، فاللَّهم إنا نسألك قلبا لينا وخشوعا طيبا وتواضعاً مباركا وخفض الجناح لكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. اللهم آمين.

(٥٨) تاريخ الطبرى: ٢١٥/٤

الفصل الثالث

خطبة الخاتمة

الفصل الثالث

خطب الخاتمة

هذا الفصل سُمى بخطب الخاتمة، والخاتمة المقصود بها نهاية حياة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، وهذه الخطب سنلاحظ من خلالها كيف كان الفاروق حريص على الدعوة والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله فلقد كان فى نهاية عمره خائفاً على الأمة المحمدية من بعده راهبا أن يتراجعوا أو يتخاذلوا عن الحق فكانت تنبع الخطب من قلبه بكل أسى وخوف على هذه الأمة شأنه شأن المصطفى ﷺ وشأن الصديق وشأن كل داعية يعمل لله ويدعو لله ويخلص لله فيا الله على من يخلص لله.

الرجم فى كتاب الله

فى هذه الخطبة سيتحدث الفاروق عن الرجم والسنة فى الخلافة ولكن اسمحوا لى أن أعرض عليكم القصة بكاملها قبل نص الخطبة حتى نُلِم بالموضوع إلماما جيداً.

حدثنا إسحاق بن عيسى الطَّباع حدثنا مالك بن أنس حدثنى ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره: أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى رحله، قال ابن عباس: وكنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف، فوجدنى وأنا أنتظره، وذلك بمنى، فى آخر حجة حجها عمر بن الخطاب، قال عبد الرحمن بن عوف: إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال: إن فلاناً يقول لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فقال عمر: إنى قائم العشية فى الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم.

قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك إذا قمت فى الناس، فأخشى أن تقول مقالةً يطير بها، أولئك فلا يَعُوها ولا يضعونها على مواضعها، ولكن حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة وتخلصُ بعلماء الناس وأشرافهم، فتقول ما قلت متمكناً، فيعون «يفهمون فهماً جيداً» مقالتك ويضعونها مواضعها.

فقال عمر: لئن قدمتُ المدينة سالماً صالحاً لأكلمن بها الناس فى أول مقام أقومه.

فلما قدمنا المدينة فى عَقِب ذى الحجة، وكان يوم الجمعة، عجَّلتُ الرَوَاحَ صكة الأعمى، فقلت لمالك: وما صكة الأعمى؟

قال:" إنه لا يبالى أىَّ ساعة خرج، لا يعرف الحرَّ والبرد ونحو هذا، فوجدتُ سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقنى فجلست حذاءه تحك ركبته، فلم أنْشَبْ أن طلع عمر، فلما رأيته قلت: ليقولنَّ العشية على هذا المنبر مقالةً ما قالها عليه أحدُ قبله؟ قال: فأنكر سعيد بن زيد ذلك، فقال: ما عَسيَتَ أن يقول ما لم يقل أحد.

فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

نص

(أما بعد:...

أيها الناس فإنى قائل مقالةً قد قُدِّ لى أن أقولها، لا أدرى لعلها بين يَدَىْ أجلى، فمن وعاها وعقلها فليحِّدث بها حيث انتهت به راحلتُه، ومن لم يَعِها فلا أحِلَّ له أن يكذبَ علىَّ، إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ

بالحق، وأنزل عليه الكتاب وكان مما أنزل آيةُ الرجم، فقرأناها ووعيناها، ورَجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمانٌ أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم فى كتاب الله عزَّ وجلَّ..؛ فيَضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عزوجل، فالرجم فى كتاب الله حق على من زنى، إذا أحْصِنَ من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو الحَبَلَ أو الاعتراف ألا وإنا قد كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم، فإن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم، ألا وإن رسول الله ﷺ قال: لا تطرونى كما أطرى عيسى ابنُ مريم عليه السلام، فإنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله، وقد بلغنى أن قائلاً منكم يقول: لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغتَرَّنَ امرؤ أن يقول: إن بيعة أبى بكر كانت فلتةً، ألا وإنها كانت كذلك، إلا وإن الله عزَّ وجلَّ وقى شرَّها، وليس فيكم اليوم من تُقْطَع إليه الأعناقُ مثلُ أبى بكر، ألا وإنه كان من خيرنا حين توفى رسول الله ﷺ أن علياً والزُّبير ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتخلفت عنا الأنصار بأجمعها فى سَقيفة بنى ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر، فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم، حتى لقينا رجلان صالحان، فذكر لنا الذى صنع القومُ، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟، فقلت: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار.

فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين.

فقلت: والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة، فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمَّل، فقلت: من هذا؟

فقالوا: سعد بن عبادة

فقلت: ما له؟

قالوا: وجَعُ. فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله عزَّ وجلَّ بما هو أهله، وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله عزَّ وجلَّ وكتيبةُ الإسلام وأنتم يا

معشر المهاجرين رهط منَّا وقد دفَّت دافَّة منكم يريدون أن يَخْزِلُونا من أصلنا ويَحْضُنُونا من الأمر فلما سكت أردتُ أن أتكلم، وكنت قد زَورتُ مقالةً أعجبتنى، أردتُ أن أقولها بين يدى أبى بكر، وقد كنت أدارى منه بعض الحد، وهو كان أحلم منى وأوقر.

فقال أبو بكر: على رِسْلِك، فكرهت أن أغضبه، وكان أعلم منى وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تَزويرى إلا قالها فى بديهته وأفضل، حتى سكت، فقال: أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش»، هو أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين، أيهما شئتم وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح. فلم أكره مما قال غيرهما، وكان والله أن أقدَّم فتضرب عنقى لا يُقرِّبنى ذلك إلى إثم أحبُّ إلىَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر، إلا أن تَغيُّرَ نفسى عند الموتً، فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيلها المُحَكَّك، وعُذَيقها المُرَجَّب منَّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فقلت لمالك: ما معنى أنا جُذيلها المحكك وعُذيقها المرجَّب؟ قال: كأنه يقول أنا داهيتُها.

قال: وكثُر اللغط وارتفعت الأصوات، حتى خشيت الاختلاف.

فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عُبَادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعداً، فقلت: قتل الله سعداً، وقال عمر: أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبى بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعةً، فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد، فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له: ولا بيعة للذى بايعه تَغرَّة أن يُقتلا) (١)

(١) جامع المسانيد والسنن للعلامة ابن كثير: ١٨/٩٩ - ١٠٢

وقد جاء أيضا فى شأن الرجم ومسألة التكذيب ببعض الغيبيات خطبة من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ذكر الرجم فقال:

نص

(لا تُخْدَعُنّ عنه فإنه حد من حدود الله، ألا إن رسول الله ﷺ قد رَجَمَ، ورجمنا بعده ولولا أن يقول قائلون: زاد عُمَرُ فى كتاب الله ما ليس منه لكتبتُ فى ناحية المُصحف: شَهد عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف وفُلانُ وفُلانُ أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، الا وإنه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالرجم، وبالدجال وبالشفاعة وبعذاب القبر، وبقومٍ يخرجون من النار بعد ما امتحشوا) (٢)

ومعنى كلمة امتحشوا: أى احترق جلدهم وظهر عظمهم.

حضر أجلى

قال معدان بن أبى طلحة: خطب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال:

نص

(رأيت كأن ديكاً نقرنى نقرة أو نقرتين، وإنى لا أراه إلا حضور أجلى، وإن قوماً يأمروننى أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته، فإن عجل بى أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو راض عنهم) (٣)

---

(٢) جاءت هذه الخطبة السابقة أيضا فى مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٥٤ . ٦٠

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٤١

موت ووصية

ذكرنا فى مقدمة الفصل أن المقصود بالخاتمة، الأيام الأواخر فى حياة عمرو كيف أنه كان حريص فيها على هذا الدين وأمره؟، ولقد سقت إليكم ثلاثة خطب توضح ذلك، حيث خاف فيهم عمر على المسلمين من نسيان الأحكام وبالذات ما هو سمعى، ورأينا كيف أوصى بالشورى واسمحوا لى أن أختم هذا الفصل بعدد من الوصايا التى قيلت عند موته والتى ستجدونها فى القصة التى توضع تحت عنوان «مقتل عمر» والتى سأنقلها لكم إن شاء الله بالنص من كتاب إتمام الوفاء للعلامة الخضرى وحتى لا أطيل فإليكم نصها.

مقتل عمر

لم يصب المسلمون فى العصر الأول بمصيبة بعد وفاة رسول الله ﷺ أعظم من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

جنى عليه غلام مجوسى اسمه «أبو لؤلؤة» كان للمغيرة بن شعبة وها نحن نسوق ما رواه «البخارى» فى صحيحه عن عمرو بن ميمون فى هذا المصاب الجليل.

قال عمرو: إنى لواقف بينى وبينه قوس (عمر) إلا «عبد الله بن عباس» غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: «استووا» حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبّر فسمعته يقول: «قتلنى - أو أكلنى - الكلب» حيث طعنه (أبو لؤلؤة) فطار العِلج (٤) بسكين ذات طرفين لا يمر على أحدٍ يميناً ويساراً إلا طعنة، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً فمات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنُساً «يقال: إن

(٤) العلج: الرجل الشديد من كفار العجم

الرجل هو حطان التميمى» فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول «عمر» يد «عبد الرحمن بن عوف» فقدَّمه، فمن يلى «عمر» فقد رأى الذى رأيت، وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم فقدوا صوت «عمر» وهم يقولون: «سبحان الله سبحان الله». فصلى بهم «عبد الرحمن بن عوف» صلاة خفيفة.

فلما انصرفوا قال: «يا ابن عباس انظر من قتلنى»، فجال ساعة ثم جاء.

فقال: «غلام المغيرة»

قال: «الصَّنَعُ» معناها «الرجل الحازق فى صنعته»

قال: نعم

فقال: «قاتله الله لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يُدعى الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً»

فقال: «إن شئت فعلتُ - أى إن شئت قتلناهم»

قال: «كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم وصلَّوا إلى قبلتكم وحجُّوا حجَّكم»

فاحتُمل عمر إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ

فقائل يقول: لا بأس عليه

فأتىَ بنبيذ «أى نقيع غير مُسكِر قبل أن يتخلل ويصبح خمراً» فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يُثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: «أبشر يا أمير

المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ، وقَدَمٍ فى الإسلام ما قد علمت، ثم ولِّيت فعدلت، ثم شهادة»

قال: «وددت أن ذلك كفاف لا على ولا لِى»

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: «ردوا على الغلام» فجاء

قال: «يا ابن أخى ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك.

ثم قال: «يا عبد الله بن عمر انظر ما على من الدَّيْن»

فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه

قال: «إن وَفى بذلك مالُ آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تفِ أموالهم فسل فى قريش، ولا تعدُهُم إلى غيرهم، فأدِّ عنى هذا المال»

ثم قال: «انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً

وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه»

فذهب فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى، فقال: «يقرأ عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه»

فقالت: كنت أريده لنفسى ولأوثرن به اليوم على نفسى

فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء.

فقال: «ارفعونى» فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك...؟؛

قال: الذى تحبُّ يا أمير المؤمنين أذِنتْ.

قال: «الحمد لله ما كان شىء أهمَّ إلىَّ من ذلك، فإذا قُبِضْتُ

فاحملونى، ثم سلم، فقل: «يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت فأدخلونى وإن ردَّتنى ردُّونى إلى مقابر المسلمين»

وجاءت أم المؤمنين حفصة - بنت عمر - والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فمكثت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولَجتْ داخلاً لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: «أوص يا أمير المؤمنين استخلف»

فقال: كما فى رواية مسلم

«أتحمل أمركم حياً وميتاً، لوددت أنى أحظى منها الكفاف لا على ولا لى، وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى - يعنى أبا بكر. وإن أترككم فقد قرتكم من هو خير منى يعنى رسول الله ﷺ»

قال عبد الله بن عمر: «فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مُستخلف»

ثم قال عمر: «ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر. أو الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض»

فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وسعداً، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف وقال: «يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شىء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمِّرَ، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة»

وقال: «أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم: أن يَقبَل من محسنهم، وأن يعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وجُباة المال، وغيظ العدو، وألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب

ومـادة الإسـلام، أن يأخـذ من حـواش أمـوالهم وترد على فـقـرائهم. وأوصيـه بذمـة الله وذمـة رسـول الله ﷺ أن يَفِيَ لهم بعـهـدهم، وأن يُقـاتل من ورائِهِمَ، ولا يكلَّفوا إلا طاقتهم»

فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشى، فسلم عبد الله بن عمر، وقال: «يستأذن عمر بن الخطاب»

قالت السيدة عائشة: أدخلوه:

فـأدخل، فوضـع هناك مع صـاحبـيه، وهـناك قـال على رضي الله عنه . كمـا فى رواية البخارى عن ابن عباس:

«رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأنى كثيراً ما كنت أسـمع رسـول الله ﷺ يقـول: كنت، وأبو بكر، وعـمـر، وفـعلت، وأبـو بكر، وعمر، وانطلقت، وأبو بكر، وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما) (٥)

(٥) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء: للخضرى:.

الإفادة

هذا الفصل فصل عظيم، ولعلى سأرى الدعاة ينظرون إلىَّ ويقولون كان الفاروق أمير المؤمنين أما نحن فمجرد دعاة، فمالنا والخوف على الرعيه والخوف على شئونهم؟

والإجابة يسيرة جداً: إن الخوف يكون على الرسالة من الضياع بين أهلها، فالداعية الحق، يعمل على ظهور هذا الدين، ظهور الدين الإسلامى، ظهور الحق، على الباطل والضلال، والمغويات الدنيوية التى تحيط بالدعوة من كل مكان هذا عمل الداعية الحق.

ولنا أكبر مثل فى الفاروق عمر فهو لم يكن ينصح فى آخر أيامه بلسان الخليفة قدر ما كان ينصح بلسان داعية واقرأوا معى نقطتين

النقطة الأولى: مسألة الرجم قالها بصيغة الدعوة وأقام الإثبات والبرهان والدليل بالرغم من أن فى استطاعته أن يكتبها ويقرها كخليفة ويكفيه هذا وفقط ولكن الفاروق كان داعية إلى الله قبل أن يكون خليفة للمسلمين،

النقطة الثانية: لم أكتف فى هذا الفصل بالخطب ولكنى ذكرت خبر وفاته ورأينا جميعاً ما دار عند وفاته من وصاياه تلخصت فى الشورى وحب الصحابة من المهاجرين والأنصار وكذا جميع المسلمين.

رحمة الله عليك يا فاروق تحرص على الرسالة والدعوة فيا ليت كل الدعاة يلبسون رداء (الرسول - والصديق - والفاروق) اللَّهم آمين آمين

الخاتمـــة

اخترت أن تكون الخاتمة هى أقوال على هيئة مواعظ خرجت من قلب الفاروق لتصل إلى قلوبنا جميعا، وإن سرنا بتعريف كلمة خطبة المذكور فى كتاب لسان العرب لابن منظور فستكون هذه الأقوال خطب قصيرة، ومع العلم سأجعل فى نهاية هذه الكلمات خطبة قصيرة بالفعل قالها الفاروق وستكون إن شاء الله آخر ما يكتب فى هذا الكتاب عسى الله أن ينفعنا بها.

وإليكم الآن الأقوال المواعظ من الفاروق أولا:

عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: قال عمر فى خطبه: (تعلمون أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وأن الرجل إذا يئس من شىء استغنى عنه)

عن عامر الشعبى قال: قال عمر: (والله لقد لان قلبى فى الله حتى لهو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبى فى الله حتى لهو أشد من الحجر)

عن عون بن عبد الله بن عتبة قال قال عمر بن الخطاب: «جالسوا التوابين فإنهم أرق شىء أفئدة»

عن الأعمش عن إبراهيم قال: (سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول: اللّهم إنى أستنفق مالى ونفسى فى سبيلك، فقال عمر: أولا يسكت احدكم إذاً، فإن ابتلى صبر، وإن عوفى شكر)

عن أبى خالد قال: قال عمر: (كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم)

عن يحيى بن جعدة قال: قال عمر: (لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله، لولا أن أضع جبهتى لله، أو أجلس فى مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر، أو أن أسير فى سبيل الله عزّ وجلّ)

عن أبى عثمان الهندى: قال عمر بن الخطاب: (الشتاء غنيمة العابدين)

عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب: (زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل: أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم فى الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر. «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية»)

عن ابن أبى مليكة عن المسور بن مخرمة قال: (لما طعن عمر قال: والله لو أن لى طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله من قبل أن أراه)

ثنا شعبة أخبرنا يعلى بن عطاء قال: سمعت عبدالله بن خراش يحدث عن عمه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى خطبته:

(أعظم نص)

{اللهم اعصمنا بحبلك وثبتنا على أمرك}

المراجع

١ - البداية والنهاية - للعلامة ابن كثير

٢ - الخطب والمواعظ - لأبى عبيد القاسم بن سلام

٣ - إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء - للعلامة الخضرى

٤ - إحياء علوم الدين - للعلامة أبى حامد الغزالى

٥ - تاريخ الطبرى (المعروف بتاريخ الأمم والملوك) - لابن جرير الطبرى

٦ - تفسير القرآن العظيم - للعلامة ابن كثير

٧ - تاريخ الخلفاء - للعلامة السيوطى

٨ - حلية الأولياء - لأبى نعيم

٩ - الزهد - للإمام أحمد بن حنبل

١٠ - السنن الكبرى - للبيهقى

١١ - سيرة عمر بن الخطاب - لأبى فرج بن الجوزى

١٢ - العقد الفريد - لابن عبد ربه

١٣ - عيون الأخبار - لابن قبيصة

١٤ - فتح البارى شرح صحيح البخارى - للعلامة ابن حجر العسقلانى

١٥ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. للقلقشندى

١٦ - تحفه الأحوذى فى شرح جامع الترمذى - للمبار كفورى

١٧ - مسلم بشرح النووى - للعلامة النووى

١٨ ـ كنز العمال ـ للهندى

١٩ ـ المستدرك على الصحيحـين ـ للنياسبورى

٢٠ ـ عون المعبود بشرح سنن أبى داود ـ للآبادى

٢٠ ـ الطبقات الكبرى ـ لابن سعد

٢٢ ـ سنن ابن ماجه ـ لابن ماجه القزوينى

٢٣ ـ سير أعلام النبلاء ـ للذهبى

٢٤ ـ شعب الإيمان للبيهقى

٢٥ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمى

٢٦ ـ مسند الإمام أحمد ـ للإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى

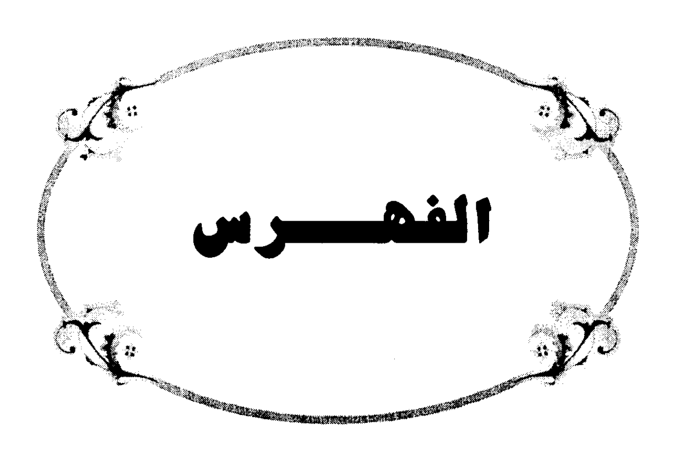
٢٧ ـ لسان العرب ـ للعلامة ابن منظور

٢٨ ـ الموطأ ـ للإمام مالك شرح العلامة محمد فؤاد عبد الباقى

٣٠ ـ حياة الصحابة ـ للكاندهلوى

٣١ ـ جامع المسانيد والسنن ـ للعلامة ابن كثير

٣٢ ـ معرفة السنن والآثار ـ للبيهقى


الفهـــرس